

وزارة المعارف العمومية استعمال هذا الكتاب بمدارستها الابتدائية

الْقِرَاءَةُ الشَّرْعِيَّةُ

الجزء الثاني

تأليف

عبد الفلاح صبري بك و علي عمر صبري بك

وكيل وزارة المعارف العمومية سكرتير الجامعة المصرية العام

حقوق الطبع محفوظة

(الطبعة الثامنة والعشرون سنة ١٩٤٩)

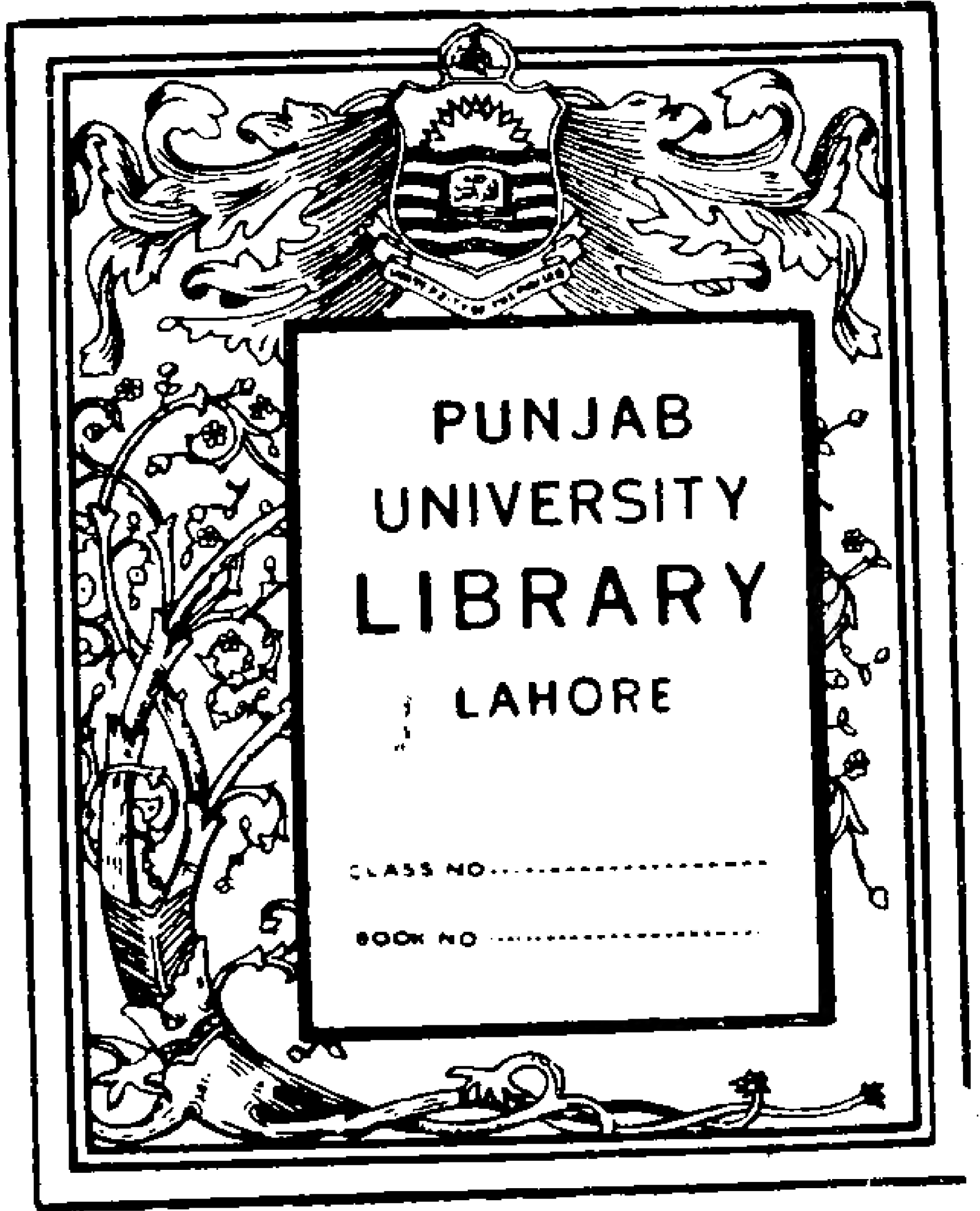
مكتبة الأعظمية

AL-MARTABA AL-AZMA

PAKISTAN

دار فصحى

4485/2



S-369--Punjab University Press - 10,000 - 29-1-2003

پنجاب یونیورسٹی لائبریری کو عطا فرمایا

المعارف العمومية استعمال هذا الكتاب بدارستها الابتدائية

القرآن الكريم



الجزء الثاني

تأليف

عبد الفلاح صبري بك و علي عمر صبري بك

وكيل وزارة المعارف العمومية سكرتير الجامعة المصرية العام

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثامنة والعشرون (سنة ١٩٤٥)

مطبع المطبع والنشر

دار المعارف بمصر

~~7232~~

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

87822

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين

وعلى آله وصحبه وسائر النبيين

وبعد فإن الزمان قد دار وسار وهب الكل يطلب

العلم للصغار والكبار ولما كان أولى المسائل بالاهتمام والعناية

تعليم القراءة والكتابة وشيء مما في الدنيا من آيات الله .

أنشأنا هذه الكتب الأربعة أساسها التدرج وسهولة الأخذ

وبناؤها على أحسن أساليب التربية وحالة نشوء المدارك

وتطورها ورجاؤنا من المولى سبحانه وتعالى أن يجعلها

سديدة الخطى رشيدة الغاية انه ولي التوفيق

عبد الفتاح صبرى على عمر

۱ - جزاء الصدق

قَدَرْتُ مُوَلِّعُ الْعِوَضُ الْحَصْدُ
الْتَلَفُ حَاصِلُ قُصَّ

ذَهَبَ فَلَاحٌ إِلَى جَارٍ لَهُ غَنِيٌّ مُوَلِّعٌ بِالصَّيْدِ ، وَشَكَا
إِلَيْهِ مَا أَصَابَ الْقَمْحَ فِي حَقْلِهِ مِنَ الْتَلَفِ ، بِسَبَبِ كَثْرَةِ
دُخُولِ كِلَابِهِ فِيهِ .

فَقَالَ الْجَارُ : « حَقِيقَةً يَا صَاحِبِي ، كَثِيرًا مَا نَزَلْتُ
كِلا بَنِي فِي حَقْلِكَ ، وَرُبَّمَا سَبَّيْتُ شَيْئًا مِنَ الْتَلَفِ ، وَأَنَا
مُسْتَعِدٌّ لِعِوَضِ خَسَارَتِكَ » .

فَقَالَ الْفَلَاحُ : « لَمَّا رَأَيْتُ مَا حَلَّ بِارْضِي مِنَ الْتَلَفِ ،
دَعَوْتُ صَدِيقًا لِي لِتَقْدِيرِ الْخَسَارَةِ ، وَنَرَى أَنَّهَا تَبْلُغُ ثَلَاثِينَ
جُنَيْهًا » . فَقَدَّمَ إِلَيْهِ السَّرِيُّ مَا طَلَبَ مِنَ الْعِوَضِ .

وَلَمَّا جَاءَ وَقْتُ الْحَصْدِ ، وَجَدَ الْفَلَاحُ أَنَّ الْجُزْءَ الَّذِي
ظَنَّهُ تَالِفًا أَتَى بِأَحْسَنِ حَاصِلٍ . فَذَهَبَ إِلَى السَّرِيِّ ، وَأَعْلَمَهُ

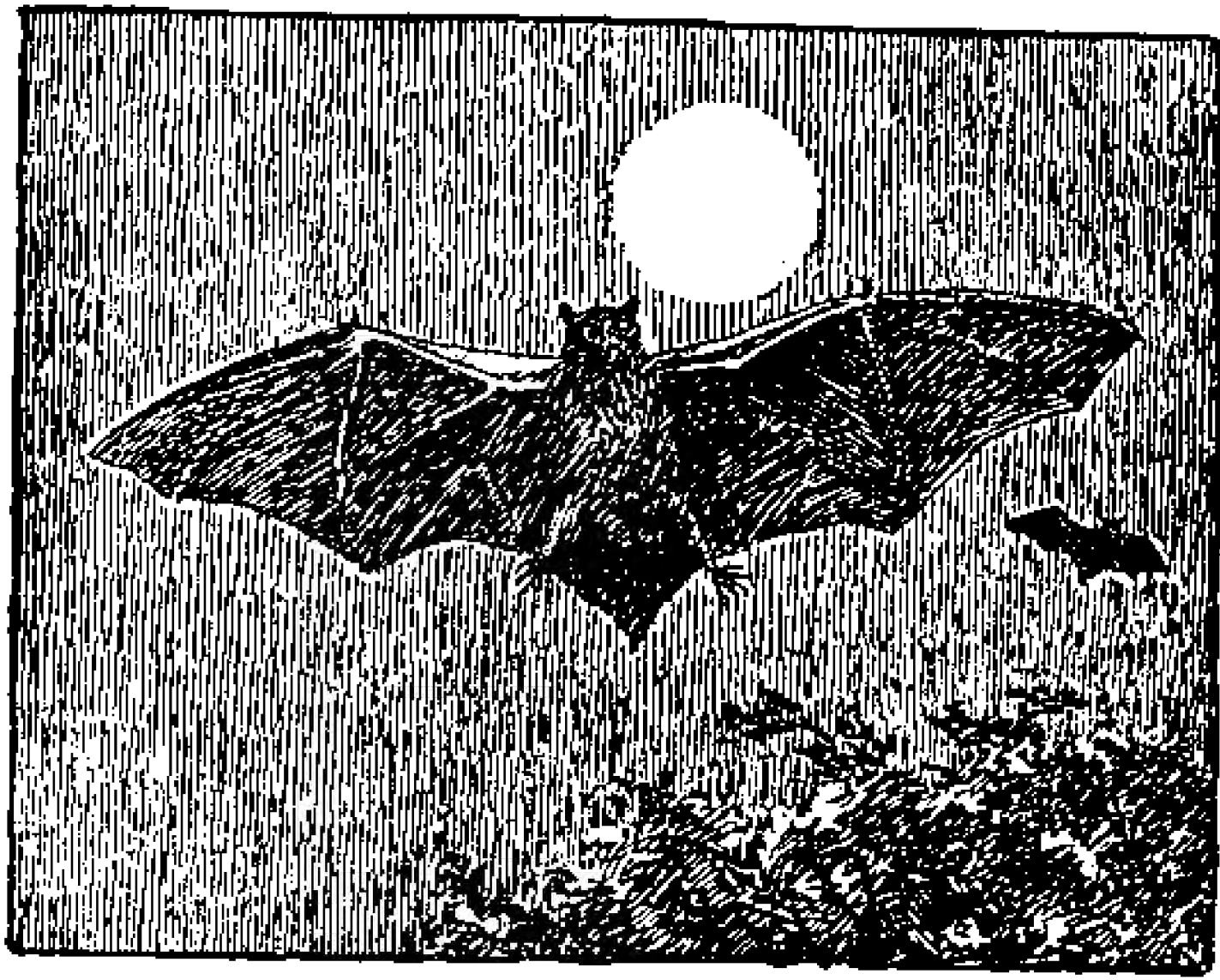
بِحَقِيقَةِ الْحَالِ ، وَقَالَ : إِنَّهُ قَدْ أَتَى لِرَدِّ الْمَبْلُغِ ، لِأَنَّهُ لَا يَرَى لِنَفْسِهِ حَقًّا فِيهِ .

فَقَالَ السَّرِيُّ : « هَذَا مَا يَنْبَغِي بَيْنَ الرَّجُلِ وَالرَّجُلِ » .
ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى حُجْرَةِ أُخْرَى ، وَعَادَ وَمَعَهُ خَمْسَةُ أَمْثَالِ
الْمَبْلُغِ ، وَقَدَّمَهُ إِلَى الْفَلَّاحِ قَائِلًا : « إِدْخِرْ هَذَا الْمَبْلُغَ ،
حَتَّى يَصِيرَ عُمْرُ ابْنِكَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً ؛ وَإِذَا ذَاكَ
سَلَّمَهُ إِلَيْهِ ، وَقُصَّ عَلَيْهِ قِصَّتُهُ » .

٢ - الْخُفَّاشُ

يَطُوفُ	يَا تُرَى	لَلثَدَى
يُنْسِبُ	الْجُرْدَانُ	يَمْتَصُّ

يَطِيرُ فِي اللَّيْلِ حَيَوَانٌ شَبِيهُ بِالطَّيْرِ ، لَا صَوْتَ لَهُ وَلَا
لِطَيْرَانِهِ ، وَيَدْخُلُ الْبُيُوتَ أَحْيَانًا فَيَطُوفُ بِكُلِّ الْغُرَفِ ،
وَإِذَا وَجَدَ نُورًا خَرَجَ بِغَايَةِ السَّرْعَةِ . فَمَا هُوَ هَذَا الْحَيَوَانُ
بَا تُرَى ؟



هَذَا هُوَ الْخَفَّاشُ . لَهُ أَجْنَحَةٌ مِنْ جِلْدٍ رَقِيقٍ مَتِينٍ
وَلَا رِيشَ فِيهِ . وَيَلِدُ أَوْلَادَهُ وَيُرْصِعُهَا مِنْ لَبَنِهِ . فَهُوَ
بِذَلِكَ لَيْسَ بِطَائِرٍ ، بَلْ هُوَ مِنَ الْخَيَوَانِ ذِي الثَّدْيِ . وَهَذَا
الْخَيَوَانُ لَا يَطِيرُ إِلَّا بِاللَّيْلِ ، لِأَنَّ ضَوْءَ النَّهَارِ يُؤْذِي عَيْنَيْهِ
فَلَا يُبْصِرُ . وَلَكِنَّهُ حَادُّ السَّمْعِ . وَلَهُ أُذُنَانِ كَبِيرَتَانِ لِذَلِكَ .
وَقَدَمَاهُ فِيهِمَا أَصَابِعُ وَأظْفَارٌ مُتَقَوِّسَةٌ ، يُنْشِبُهَا فِي خَشَبَةِ
أَوْ غُصْنِ شَجَرَةٍ يَتَعَلَّقُ ، بِهَا إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنَامَ . وَمِنْ
الْخَفَافِيشِ مَا يُشَبِّهُ الشَّلْبَ فِي وَجْهِهِ ، وَلِذَلِكَ يُسَمَّى الشَّلْبَ

الطَّائِرُ ، وَغِذَاوُهُ الْجُرَذَانُ وَنَحْوُهَا . وَمِنْهَا مَا يَتَغَذَّى
بِالدُّبَابِ وَالْحَشَرَاتِ الصَّغِيرَةِ ، وَمِنْهَا مَا يَأْكُلُ الْفَاكِهَةَ ،
وَمِنْهَا مَا يَمْتَصُّ دَمَ غَيْرِهِ مِنَ الْحَيَوَانِ .

٣ - اللَّبْنُ وَالْقَهْوَةُ

غِلَافٌ	أَلْتَى	أَثْمَارٌ
مَزْرَعَةٌ	يُقَلَّى	شَحَنَ

الْقَهْوَةُ الَّتِي نَشْرَبُهَا فِي مُيُوتِنَا ، وَنَقْدِمُهَا لِلضُّيُوفِ ،
تُصْنَعُ مِنَ اللَّبْنِ .



وَاللَّبْنُ ثَمَرُ شَجَرَةٍ
لَا يَبْلُغُ ارْتِفَاعُهَا أَرْبَعَةَ
أَمْتَارٍ ، لَهَا وَرَقٌ كَبِيرٌ
أَخْضَرٌ ، وَزَهْرٌ أَيْضٌ
يُشَبِّهُ زَهَرَ الْيَاسْمِينِ .

وہی تنبت فی کثیر من جہاتِ الدُّنیا ، مثلِ بلادِ العربِ ،
وَأَمْرِيقَا الْجَنُوبِیَّةِ ، وَبِلَادِ الْحَبَشَةِ ، وَغَیْرِهَا مِنَ الْأَقْطَارِ .



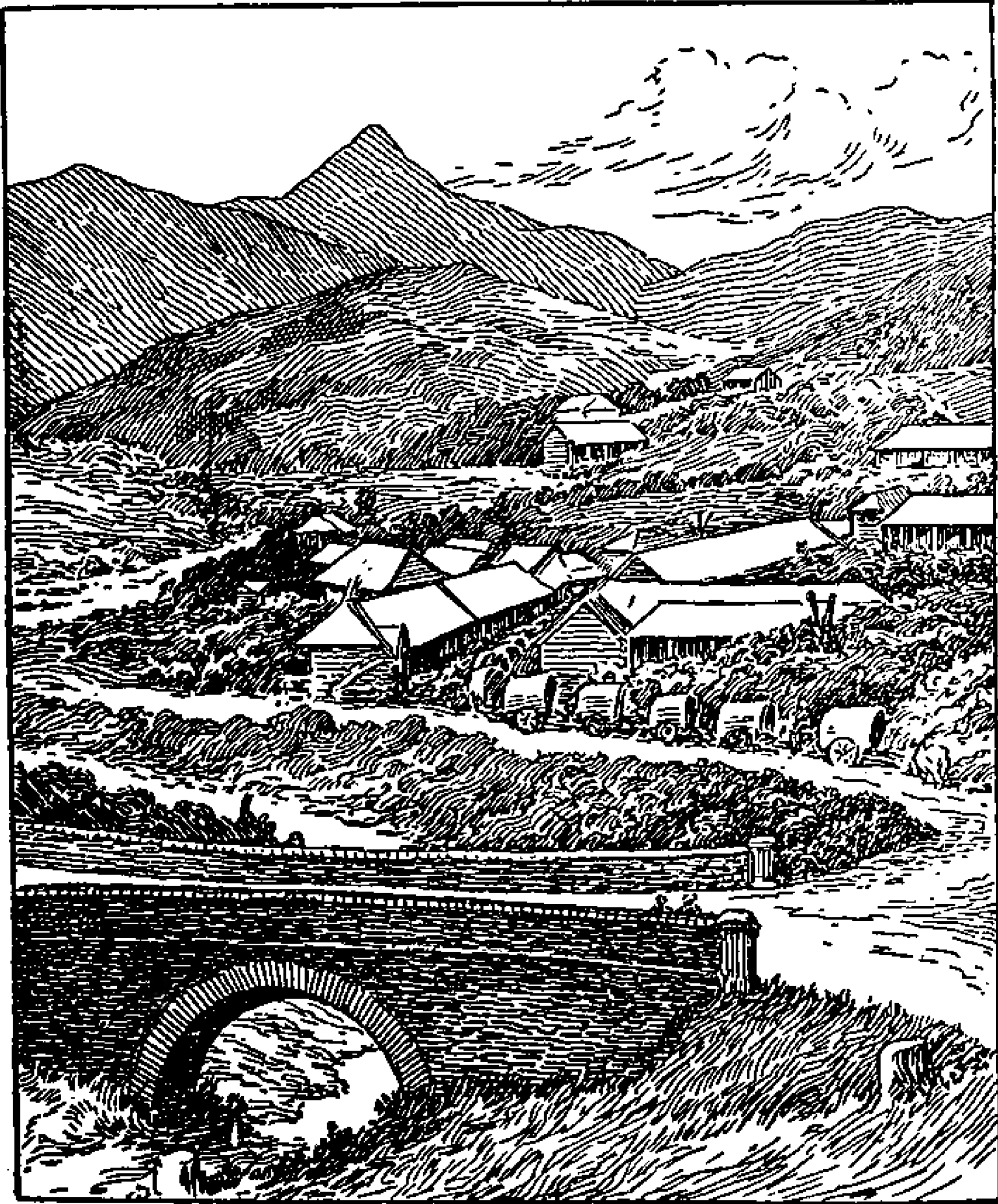
وَمَتَّى أَنْ أَوَانَ إِثْمَارِهَا ، أُلْقَتِ
الشَّجَرَةُ أَزْهَارَهَا ، وَظَهَرَتْ
مَكَانَهَا حُبُوبٌ مُتَجَمِّعَةٌ ، كُلُّ
اِثْنَتَيْنِ مِنْهَا فِي غِلَافٍ صُلْبٍ
أَخْضَرَ . وَمَتَّى جَفَّتْ هَذِهِ

الْحُبُوبُ ، جُمِعَتْ ثُمَّ دُقَّتْ لِإِخْرَاجِهَا مِنْ غُلْفِهَا ، وَوُضِعَتْ
فِي غَرَائِرَ تُحْمَلُ عَلَى عَجَلَاتٍ ، كَمَا تَرَى فِي صُورَةِ مَرْعَةِ
الْبُنِّ ، ثُمَّ تُسَحَّنُ لِتُرْسَلَ إِلَى سَائِرِ بِلَادِ الدُّنْيَا لِلتِّجَارَةِ .

وَلِأَجْلِ عَمَلِ الْقَهْوَةِ ، يُقَالَى الْبُنُّ عَلَى نَارٍ ضَعِيفَةٍ ، وَيُحَرَّكُ
وَيُقَلَّبُ ، حَتَّى يَصِيرَ أَسْوَدَ ضَارِبًا إِلَى الْحُمْرَةِ . وَبَعْدَ أَنْ
يَبْرُدَ يُطْحَنُ حَتَّى يَصِيرَ نَاعِمًا . وَيُوضَعُ قَلِيلٌ مِنْهُ عَلَى مَاءٍ
مُغْلًى فَيَخْتَلِطُ بِهِ . وَيَكُونُ طَعْمُ الْقَهْوَةِ مُرًّا . وَأَحْيَانًا

تُحْلَى بِإِضَافَةٍ شَيْءٍ مِنَ السُّكَّرِ عَلَيْهَا .

وَلَا تُقَدَّمُ الْقَهْوَةُ لِلضُّيُوفِ عَادَةً إِذَا كَانُوا صِبْغَارًا .



۴ - آلاؤبُ اُساسُ النّجّاح

اُعلنَ	اِختيارُ	المُسحّةُ	مُنْتَظَمُ
لَبِثَ	يُدافعُ	مُتَواضِعُ	أَفْضَلُ

أَعْلَنَ تَاجِرٌ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَسْتَحْدِمَ عِنْدَهُ شَابًّا كَاتِبًا .
فَتَقَدَّمَ لَهُذِهِ الْوَضِيفَةِ عَدَدٌ مِنَ الشُّبَّانِ غَيْرُ قَلِيلٍ ، وَحَضَرُوا
لِمُقَابَلَتِهِ فِي سَاعَةٍ مُعَيَّنَةٍ . فَكَانَ التَّاجِرُ يَدْعُوهُمْ إِلَى
مَكْتَبِهِ وَاحِدًا وَاحِدًا ، وَيُحَادِثُهُمْ فِي مَسَائِلَ كَثِيرَةٍ ، لِيَعْلَمَ
مِقْدَارَ فِطْنَتِهِمْ وَأَدَابِهِمْ . وَأَخِيرًا اخْتَارَ أَحَدَهُمْ بَعْدَ مُحَادَثَةٍ
قَصِيرَةٍ . فَاسْتَعْرَبَ هَذِهِ الشَّرْعَةَ صَدِيقٌ لَهُ كَانَ حَاضِرًا ،
وَقَالَ لَهُ : « عَلَى أَيِّ شَيْءٍ بَنَيْتَ اخْتِيَارَكَ هَذَا الشَّابُّ ،
فَإِنَّكَ لَمْ تُحَادِثْهُ إِلَّا قَلِيلًا ؟ » .

فَقَالَ : « إِنَّهُ مَسَحَ نَعْلَيْهِ عَلَى الْمُسْحَةِ عِنْدَ دُخُولِهِ ،
وَأَقْفَلَ الْبَابَ بِلُطْفٍ وَسُكُونٍ ، فَفَهِمْتُ أَنَّهُ نَظِيفٌ
وَمُنْتَظَمٌ . ثُمَّ أَشَارَ إِلَيَّ بِالسَّلَامِ ، وَجَاوَبَنِي بِنَشَاطٍ وَأَخْتِرَامٍ ،

فَفَهَمْتُ أَنَّهُ حَسَنُ الْأَدَبِ . وَقَدْ لَبِثَ يَنْتَظِرُ دَوْرَهُ ، وَلَمْ
يُدَافِعْ غَيْرَهُ لِلْحُضُورِ بَيْنَ يَدَيَّ ، فَفَهَمْتُ أَنَّهُ مُتَوَاضِعٌ .
وَمَتَى اجْتَمَعَتْ هَذِهِ الصِّفَاتُ فِي شَخْصٍ ، كَانَ أَفْضَلَ
مِمَّنْ سِوَاهُ .

هـ - الْعَنْدَلِيبُ (۱)

أَذْكَنُ وَجَّهَ الْبَلْبَلُ يُغَرِّدُ الْغَرْدُ



عَدِيلَةُ بِنْتُ سِنْهًا تَمَانِي سَنَوَاتٍ ، وَكَانَتْ تُحِبُّ الطُّيُورَ
وَتَمِيلُ إِلَى اللَّعِبِ مَعَهَا . فَكَانَ أَبُوهَا لِذَلِكَ يُرْسِلُهَا مَعَ
أَخِيهَا الْكَبِيرِ إِلَى جُنَيْنَةِ الْحَيَوَانَاتِ ، لِتَرَى كَثِيرًا مِنْهَا .
فَرَأَتْ ذَاتَ يَوْمٍ طَائِرًا هُنَاكَ ، أُعْجِبَهَا شَكْلُهُ الْجَمِيلُ .
وَهُوَ صَغِيرُ الْجِسْمِ ، لَهُ رَأْسٌ وَذَنْبٌ أَسْوَدَانِ ، أَمَّا ظَهْرُهُ
فَأَزْرَقُ أَدْكُنْ ، وَكَذَلِكَ صَدْرُهُ . فَوَجَّهَتْ عَدِيلَةُ نَظَرَ أَخِيهَا
إِلَى هَذَا الطَّائِرِ الْجَمِيلِ ، وَطَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ يُخْبِرَهَا بِشَيْءٍ عَنْهُ .
فَقَالَ لَهَا « أَنْتِ تَعْرِفِينَهُ يَا عَدِيلَةُ وَتَعْرِفِينَ اسْمَهُ » . فَذَكَرَتْ
لَهُ أَسْمَاءَ طُيُورٍ كَثِيرَةٍ ، وَلَمْ تَأْتِ بِاسْمِ ذَلِكَ الطَّائِرِ . وَأَخِيرًا
قَالَ لَهَا : « هُوَ الْعَنْدَلِيبُ يَا عَدِيلَةُ » . فَقَالَتْ « أَنَا لَمْ أَسْمَعْ
هَذَا الْإِسْمَ قَبْلَ الْآنَ ، وَلِذَلِكَ لَا أَعْرِفُ عَنْهُ شَيْئًا » .
فَقَالَ : « لِهَذَا الطَّائِرِ اسْمٌ آخَرٌ هُوَ الْبَلْبَلُ » .
فَتَهَلَّلَتْ عَدِيلَةُ فَرَحًا وَقَالَتْ : « نَعَمْ سَمِعْتُ هَذَا الْإِسْمَ ،
وَأَعْلَمُ أَنَّهُ اسْمُ طَائِرٍ مِنْ طُيُورِ الْغُرْدِ ، فَلِمَذَا لَا يُغَرَّدُ ؟ »

۶ - الْعَنْدَلِيبُ (۲)

هَزُلُ الْحَانُ الْمُطْرِبَةُ
يَسْتَوْقِفُ تَوَارَى أَوَاسِطُ

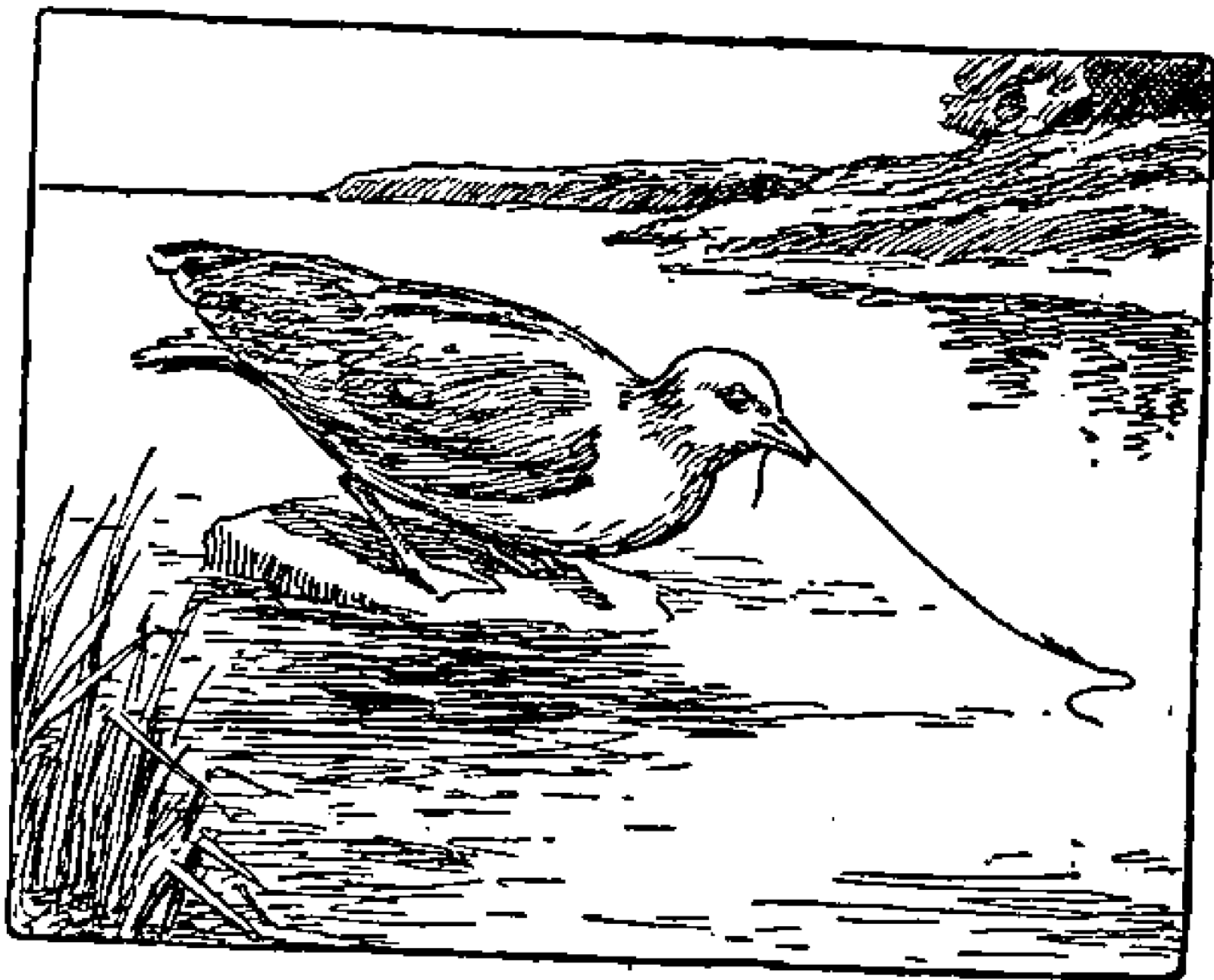
عِنْدَ مَا سَمِعَ الْأَخُ سُؤَالَ عَدِيلَةَ قَالَ لَهَا : « الْعَنْدَلِيبُ
لَا يُغَرِّدُ الْآنَ لِأَنَّهُ مُحْبُوسٌ فِي الْقَفَصِ . وَإِذَا طَالَ عَلَيْهِ
الزَّمَانُ وَهُوَ مُحْبُوسٌ ، هَزُلَ جِسْمُهُ وَرُبَّمَا مَاتَ » .

فَقَالَتْ عَدِيلَةُ : « إِذَنْ مَتَى وَأَيْنَ نَسْمَعُ الْحَانَةَ الْمُطْرِبَةَ ؟
فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْمَعَهُ . لِأَنَّ وَالِدِي أَخْبَرَنِي يَوْمًا أَنَّهُ
يَسْتَوْقِفُ كُلَّ مَنْ سَمِعَهُ بِجَمَالِ صَوْتِهِ » . فَقَالَ أَخُوهَا :
« هُوَ لَا يُغَرِّدُ إِلَّا إِذَا تَوَارَى عَنِ الْأَنْظَارِ ، عَلَى غُصُونِ
الْأَشْجَارِ . وَتَغْرِيدُهُ فِي الصَّبَاحِ أَكْثَرُ وَأَحْلَى مِنْ تَغْرِيدِهِ
فِي النَّهَارِ . وَهُوَ يُهَاجِرُ مِنْ بِلَادِنَا فِي أَوَاسِطِ الرَّيِّعِ ،
وَيَذْهَبُ شِمَالًا إِلَى بِلَادِ الرُّوسِ وَالْأَلْمَانِ ، وَيُفْرِخُ هُنَاكَ
ثُمَّ يَعُودُ فِي أَوَاسِطِ الصَّيْفِ » .

فَسَرَتْ عَدِيلَةً مِنَ الزِّيَارَةِ ، وَشَكَرَتْ أَخَاهَا عَلَيْهَا ،
وَوَدَّتْ لَوْ سَمِعَتْ الْعَنْدَلِيبَ يُغَنِّي ! وَبَعْدَ عَوْدَتِهَا إِلَى الدَّارِ ،
أَخْبَرَتْ أَبَاهَا وَأُمَّهَا بِكُلِّ مَا رَأَتْ وَمَا عَامَتْ ، وَشَكَرَتْ
لِأَخِيهَا مَا لَقِيَتْ مِنْهُ مِنَ اللُّطْفِ ، وَمِنْ رَغْبَتِهِ فِي تَعْلِيمِهَا .

۷ - الْحَمَامَةُ وَالنَّمْلَةُ

جَدُولٌ زَلٌّ السَّبَّاحَةُ تُظَلُّ مِثْقَالُ



ذَهَبَتْ نَمْلَةٌ صَغِيرَةٌ إِلَى جَدُولٍ مَاءٍ لِتَشْرَبَ وَتَسْتَرِيحَ ،
بَعْدَ أَنْ تَعِبَتْ كَثِيرًا فِي جَمْعِ قُوْمَتِهَا . فَزَلَّتْ قَدَمُهَا وَسَقَطَتْ

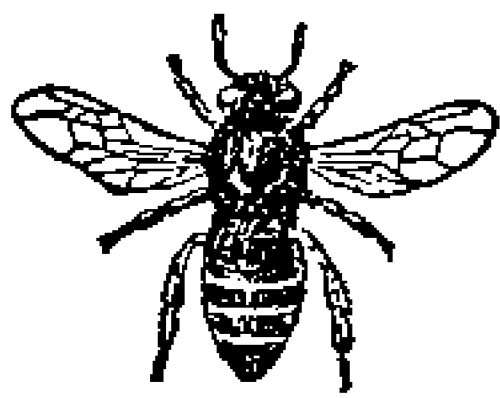
فِي الْمَاءِ ، وَلَمْ يُمَكِّنْهَا الْخُرُوجُ مِنْهُ ، لِأَنَّهَا لَا تَعْرِفُ
السَّبَاحَةَ وَكَادَتْ تَفْرُقُ .

وَكَانَتْ حَمَامَةٌ بَيْضَاءُ جَمِيلَةٌ وَقِفَةً عَلَى حَجَرٍ فِي الْمَاءِ ،
وَرَأَتْ مَا حَصَلَ لِلنَّمْلَةِ . فَرَقَّ لَهَا قَلْبُهَا وَسَعَتْ فِي خَلَاصِهَا ،
فَطَارَتْ إِلَى الْبَرِّ وَرَجَعَتْ ، وَفِي مِيقَاتِهَا عُودٌ مِنَ الْحَشِيشِ ،
مَدَّتْهُ عَلَى الْمَاءِ إِلَى الْبَرِّ . فَتَعَلَّقَتْ بِهِ النَّمْلَةُ وَخَرَجَتْ مِنَ
الْمَاءِ بِسَلَامٍ .

وَبَعْدَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ ، نَزَلَتْ الْحَمَامَةُ عَلَى فَرْعِ شَجَرَةٍ
تَتَظَلَّلُ بِأُورَاقِهَا . فَمَرَّ صَيَّادٌ مِنْ بُعْدٍ وَرَأَاهَا . فَوَقَفَ
يُصَوِّبُ بُنْدُقِيَّتَهُ نَحْوَهَا لِيَصِيدَهَا ، وَهِيَ لَمْ تَرَهُ فَتَطِيرَ .
وَلَكِنَّ النَّمْلَةَ الَّتِي خَلَصَتْهَا تِلْكَ الْحَمَامَةُ ، رَأَتْ الصَّيَّادَ
وَعَرَفَتْ مَا عَزَمَ عَلَيْهِ ، فَصَعِدَتْ فِي جِسْمِهِ ، وَلَمَّا هَمَّ
بِإِطْلَاقِ بُنْدُقِيَّتِهِ ، قَرَصَتْهُ قَرَصَةً شَدِيدَةً أَفْزَعَتْهُ ، فَتَحَرَكَ
فَمَالَتْ الرِّصَاصَةُ وَلَمْ تُصَبِّ الْحَمَامَةُ ، بَلْ نَجَتْ جَرَاءَ
إِحْسَانِهَا إِلَى النَّمْلَةِ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ .

۸ - النَّحْلَةُ وَالزَّنْبَارُ

الزَّنْبَارُ رُضَابٌ شَهِدَ يَشْتَفِي الْعَلِيلُ
الْعَوِيلُ اِغْتِدَابُ الشَّقَاءِ خُدْعَةٌ طُرًّا



الزَّنْبَارُ - أَيُّهَا النَّحْلَةُ مَاذَا
يَسْغُلُ النَّاسَ بِحُبِّكَ؟
لَسْتُ مُحْبُوبًا كَحُبِّكَ
إِنِّي فِي حُسْنِ شَكْلِي
زَانَهُ لَوْ أَنَّ عَجِيبُ
أَنْظِرِي مِنِّي جَمَالًا
كَيْفَ لَا يُعْشَقُ مِثْلِي؟
إِنَّ هَذَا لَغَرِيبٌ!

النَّحْلَةُ - فِي رُضَابِي حُلُوُّ شَهِدِ
يَشْتَفِي مِنْهُ الْعَلِيلُ
لَيْسَ لِلزَّنْبَارِ نَفْعٌ
فَعَلَامَذَا الْعَوِيلُ؟
إِنَّ حُسْنَ الشَّكْلِ هَذَا
خُدْعَةٌ تَسْتُرُ شَرًّا

كُلُّ خَدَّاعٍ ذَمِيمٌ عِنْدَ أَهْلِ الْأَرْضِ طُرًّا
حُسْنُ شَكْلِ فِيهِ ضَرٌّ أَوْ شُرُورٌ وَاعْتِدَاءٌ
لَيْسَ يُرْجَى مِنْهُ حُبٌّ بَلْ بِهِ يَأْتِي الشَّقَاءُ

۹ - الْبُؤْمَةُ

أَطَالَ الْقُبْرَاتُ ثَقْبٌ بَغْتَةٌ حَفِيفٌ

خَرَجَ فَرِيدٌ مَرَّةً مَعَ أُخْتِهِ سُعَادَ لِلزُّهْمَةِ فِي الْحَقُولِ ،
وَكَانَتْ أَصْغَرَ مِنْهُ سِنًا ،
وَأَقْلَ مِنْهُ مَعْرِفَةً . فَلَمَّا
وَصَلَا إِلَى شَجَرَةٍ عَالِيَةٍ ،
رَأَتْ سُعَادُ عَلَيْهَا طَائِرًا ،
قَدْ اجْتَمَعَتْ حَوْلَهُ
عَصَافِيرُ كَثِيرَةٌ تَنْقُرُهُ



نَقْرًا شَدِيدًا بِمَنَاقِيرِهَا . فَقَالَتْ لِأُخْيَئِهَا : « مَا هَذَا يَا فَرِيدُ ؟ »

وَأَشَارَتْ يَدِهَا إِلَى تِلْكَ الْعَصَافِيرِ . فَتَعَجَّبَ فَرِيدٌ مِنَ
الْمَنْظَرِ . وَبَعْدَ أَنْ أَطَالَ النَّظَرَ بُرْهَةً قَالَ :

« هَذِهِ بَوْمَةٌ يَا سَعَادُ تَنْقُرُهَا الْقُبَرَاتُ . لِأَنَّ الْبَوْمَةَ
مِنْ أَكْبَرِ أَعْدَائِهَا » .

فَقَالَتْ سَعَادُ : « لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ الْبَوْمَةُ مَيِّتَةً . لِأَنَّهَا
أَكْبَرُ مِنَ الْقُبْرِ ، وَتَقْدَرُ أَنْ تَقْتُلَ الْقُبَرَاتِ ، أَوْ تَطِيرَ
لِتَهْرُبَ مِنْهَا » .

فَقَالَ فَرِيدٌ : « لَا يَا سَعَادُ هِيَ حَيَّةٌ ، وَلَكِنَّهَا لَا تَطِيرُ
بِالنَّهَارِ ، لِأَنَّ ضَوْءَ الشَّمْسِ شَدِيدٌ عَلَى عَيْنَيْهَا . فَلِذَلِكَ
هِيَ لَا تَطِيرُ إِلَّا فِي اللَّيْلِ . وَتَخْتَبِي طُولَ النَّهَارِ فِي شَجَرَةٍ
أَوْ فِي ثَقْبٍ حَائِطٍ ، حَتَّى تَخْتَفِيَ عَنِ النَّظَرِ » .

فَقَالَتْ سَعَادُ : « وَلِمَازَا كَانَتْ الْبَوْمَةُ مِنْ أَكْبَرِ
أَعْدَاءِ الْقُبْرِ ؟ » . فَأَجَابَ فَرِيدٌ : « لِأَنَّهَا تَخْرُجُ فِي اللَّيْلِ ،
وَتَفْتَشُ عَلَى الطُّيُورِ الصَّغِيرَةِ وَمِنْهَا الْقُبْرُ ، فَتَنْزِلُ عَلَيْهَا بَغْتَةً
وَتَقْتُلُهَا ، لِأَنَّهَا تَطِيرُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسْمَعَ حَفِيفُ لِحْنَانِهَا .

۱۰ - مَزِيَّةُ التَّصْوِيرِ

مُضِيفٌ	يَرْقُبُ	خَانٌ
سَلَبَ	عُمَالُ	اِخْتَلَى

كَانَ مُصَوِّرٌ مُسَافِرًا وَهُوَ يَحْمِلُ مَبْلَغًا كَبِيرًا مِنَ النُّقُودِ ،
 فِي كَيْسٍ عُلِقَهُ حَوْلَ عُنُقِهِ . فَزَلَ لَيْلًا يَبْدُ لَمْ يَجِدْ فِيهِ
 خَانًا ، فَأَنْزَلَهُ أَحَدُ الْأَهَالِي ضَيْفًا عِنْدَهُ . وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ
 يَحْمِلُ ذَلِكَ الْمَالَ الْكَثِيرَ ، لَبِثَ يَرْقُبُهُ حَتَّى نَامَ ، وَدَخَلَ
 عَلَيْهِ حُجْرَتَهُ يَسْتَرِيقُ الْخَطِي لِكَيْلَا يَسْتَيْقِظَ ، وَسَلَبَهُ
 الْمَالَ ، وَحَمَلَهُ بِلُطْفٍ وَخِفَةٍ ، وَأَلْقَاهُ فِي الطَّرِيقِ بَعِيدًا
 عَنِ الدَّارِ . وَلَمَّا اسْتَيْقِظَ الرَّجُلُ مِنْ نَوْمِهِ فِي الصَّبَاحِ ،
 وَجَدَ نَفْسَهُ فِي الطَّرِيقِ وَلَا مَالَ مَعَهُ . فَذَهَبَ إِلَى الْحَاكِمِ
 وَشَكَا إِلَيْهِ أَمْرَهُ . فَسَأَلَهُ الْحَاكِمُ : « أَتَعْرِفُ مَنْ مُضِيفُكَ
 بِالْأَمْسِ ؟ » . فَقَالَ لَا ، وَلَكِنِّي مُصَوِّرٌ مَاهِرٌ ، أَسْتَطِيعُ أَنْ

اَصَوَّرَ لَكَ اَهْلَ الْبَيْتِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ ، فَتَعْرِفُهُمْ اَنْتَ
اَوْ عُمَّالِكَ .

ثُمَّ اخْتَلَى الْمُصَوِّرُ فِي غُرْفَةٍ ، وَصَوَّرَ كُلَّ اَعْضَاءِ تِلْكَ
الْاُسْرَةِ الْخَائِنَةِ . فَعَرَضَتْ الصُّورَةُ عَلَى الْاَهَالِي فَعَرَفُوهُمْ ،
وَجَاءُوا بِهِمْ إِلَى الْحَاكِمِ ، فَأَقْرُوا بِذُنُوبِهِمْ ، وَرَدُّوا الْمَالَ إِلَى
صَاحِبِهِ . وَعَاقَبَهُمُ الْحَاكِمُ عِقَابًا شَدِيدًا ، لِأَنَّهُمْ خَانُوا مَنْ
اَتَمَنَّهُمْ عَلَى نَفْسِهِ وَمَالِهِ .

١١ — اَهْلُ الصِّينِ

فُطُسٌ	مُنْحَرِفَةٌ	يَجْتَذِبُ	يَسْتَرْسِلُ
مُرْسَلَةٌ	فَرَا جِينُ	يَغْمِسُ	عَرَضَ
أَخْذِيَّةٌ	يَخْلَعُ	الْدُمَى	بَرْقَشَةٌ

لَيْسَ أَهْلُ الصِّينِ فِي الْخَلْقَةِ كَأَهْلِ مِصْرَ ، لِأَنَّهُمْ صُفْرُ
الْأَلْوَانِ ، فُطُسُ الْأَنْوْفِ ، وَعُيُونُهُمْ مُنْحَرِفَةٌ ، وَلَكِنْ
شَعْرُهُمْ أَسْوَدٌ لَامِعٌ يَجْتَذِبُ الْأَنْظَارَ .



وَلَا يُقْصُ شَعْرُ الْأَطْفَالِ مَا دَامُوا صِغَارًا ، حَتَّى إِذَا
كَبُرُوا حَلَقُوا رُءُوسَهُمْ مَا عَدَا وَسْطَهَا ، فَيُبْقُونَ فِيهِ الشَّعْرَ
حَتَّى يَطُولَ وَيَسْتَرْسِلَ ، فَيَعْمَلُونَهُ صَفِيرَةً تَبْقَى مُرْسَلَةً عَلَى
الظَّهْرِ ، كَعَادَةِ النِّسَاءِ فِي بِلَادِنَا . وَفِي الْمَدَارِسِ لَا يَتَّخِذُونَ
الْأَقْلَامَ لِلْكِتَابَةِ ، بَلْ يَسْتَعْمِلُونَ فَرَاجِينَ صَفِيرَةً
يَعْمِسُونَهَا فِي الْمِدَادِ . وَإِذَا عَرَضَ تَلْمِيذٌ دَرْسَهُ ، وَقَفَ
وَأَدَارَ ظَهْرَهُ لِلْمُعَلِّمِ وَقَرَأَ .

وَتَلْبَسُ الْبَنَاتُ أُحْذِيَةَ صَفِيرَةً مِنَ الْحَدِيدِ ، وَلَا يَخْلَعْنَ

أَبَدًا ، فَتَكْبَرُ جُسُومُهُمْ وَلَا تَكْبَرُ مَعَهَا أَقْدَامُهُمْ . لِأَنَّ
 الْأَقْدَامَ الْكَبِيرَةَ عِنْدَ أَهْلِ الصِّينِ مِنْ صِفَاتِ الْعَامَّةِ .
 هَذِهِ الْعَادَاتُ كَانَتْ شَائِعَةً قَبْلَ الْقَرْنِ الْحَاضِرِ وَلَكِنَّ
 الثَّوْرَةَ الْأَخِيرَةَ فِي أَوَائِلِ هَذَا الْقَرْنِ أَتَتْ بِعَدِّهَا نَهْضَةً
 جَدِيدَةً فَزَالَ كَثِيرٌ مِنْ تِلْكَ الْعَادَاتِ الْعَتِيقَةِ وَصَارَ الصِّينِيُّونَ
 كَسَائِرِ الْبِلَادِ فِي الْمَدَنِيَّةِ وَالْعَادَاتِ .

وَلِأَهْلِ الصِّينِ مَهَارَةٌ فَائِقَةٌ فِي صِنَاعَةِ الدَّمِيِّ ، وَهِيَ
 الصُّورُ مِنَ الْعَاجِ أَوْ الْخَشَبِ ؛ وَفِي النَّقْشِ عَلَى الْوَرَقِ
 وَالْحَرِيرِ ، وَبَرَقَّةِ الْآلَانِيَةِ الصِّينِيَّةِ ، وَالرَّسْمِ عَلَيْهَا بِأَشْكَالٍ
 بَارِزَةٍ ، تُمَثِّلُ أَحْوَالَهُمْ وَعَادَاتِهِمْ .

١٢ - الْأَمَانَةُ كَنْزٌ

سَرِيٌّ يَسْتَجِدِي حَاجَةٌ اتَّقَطُ مُعْجَبٌ
 الْكِرَاءُ الْحَيَاكَةُ مَحَاكَةُ رَاتِبٌ رَغْدٌ

تَقَدَّمَ غُلَامٌ صَغِيرٌ فِي الطَّرِيقِ إِلَى سَرِيٍّ مَارٍ بِهِ ، وَاسْتَجْدَاهُ
 شَيْئًا مِنَ الْعَطَاءِ يَسُدُّ بِهِ حَاجَتَهُ . فَأَعْطَاهُ قِرْشًا ، فَأَخَذَهُ
 الْوَلَدُ شَاكِرًا ، وَدَعَا لَهُ بِالْخَيْرِ عَلَى مَا جَادَ بِهِ مِنَ الْمَعْرُوفِ .

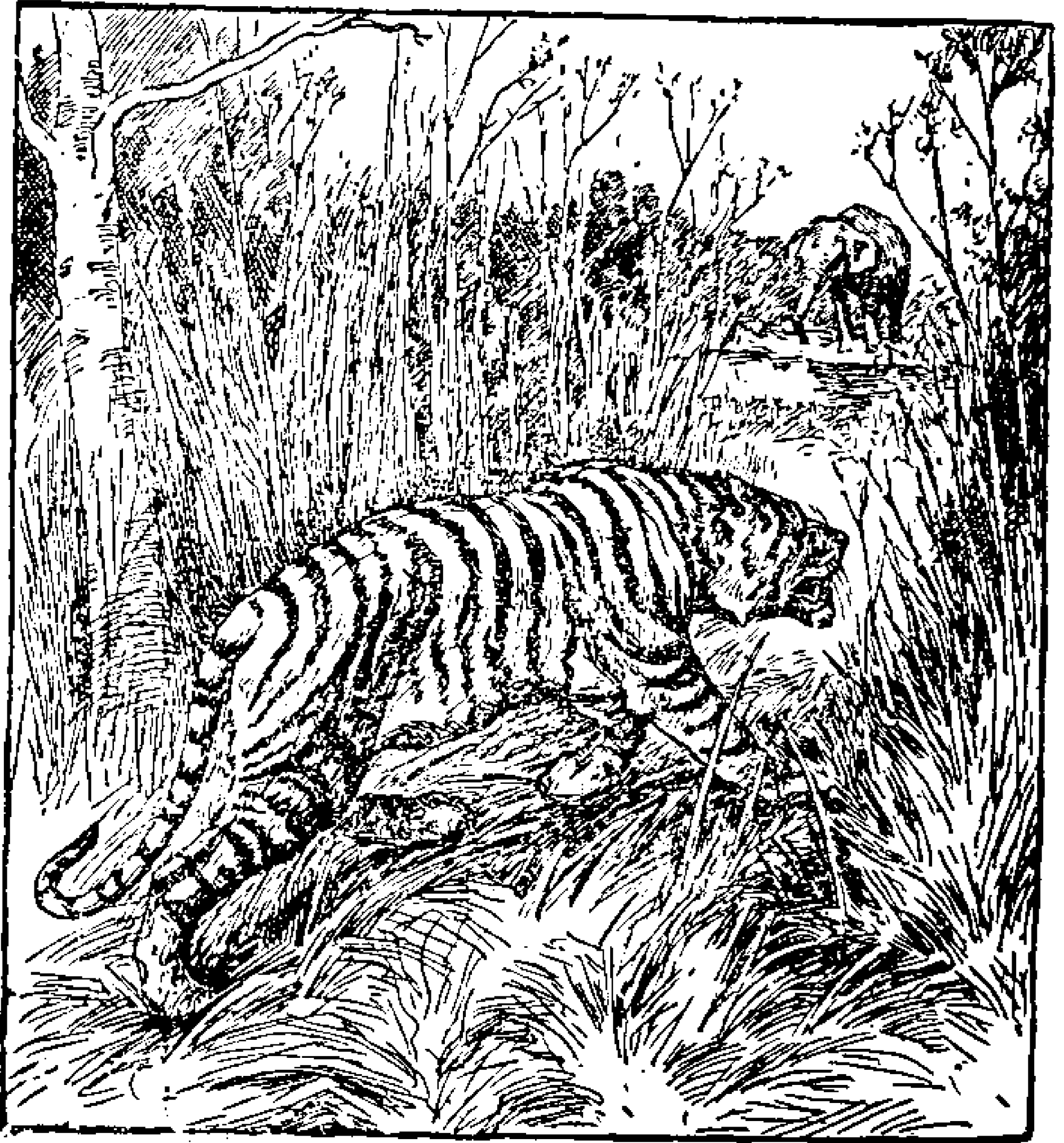
وَلَمَّا ابْتَعَدَ السَّرِيُّ مِنَ الصَّبِيِّ خَطَوَاتٍ ، سَقَطَ كَيْسُ
 نُقُودِهِ ، وَرَأَاهُ الْغُلَامُ وَهُوَ يَسْقُطُ . فَمَشَى وَالتَّقَطَهُ وَجَرَى
 نَحْوَ السَّرِيِّ مُسْرِعًا ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ قَائِلًا : « هَذَا كَيْسُ
 نُقُودِكَ يَا سَيِّدِي سَقَطَ مِنْكَ ، فَالْتَقَطْتُهُ وَجِئْتُ بِهِ إِلَيْكَ » .
 فَأَخَذَ السَّيِّدُ مِنْهُ الْكَيْسَ مُعْجَبًا بِأَمَانَةِ غُلَامٍ فَقِيرٍ
 مِثْلِهِ ، وَقَالَ : « أَتُحِبُّ يَا بَنِيَّ أَنْ تَكُونَ مُكَافَأَتِكَ مِنِّي
 عَلَى أَمَانَتِكَ ، أَنْ أُعْطِيكَ نُقُودًا أَوْ أَجِدَ لَكَ عَمَلًا . فَقَالَ
 الصَّبِيُّ : « أَلْعَمَلُ يَا سَيِّدِي لِكَسْبِ الْعَيْشِ ، خَيْرٌ مِنْ نُقُودِ
 أَخْذِهَا فَتَنْفَدُ سَرِيعًا وَتَبْقَى حَاجَتِي » . فَسَرَ السَّرِيُّ إِجَابَتَهُ ،
 كَمَا سَرَّتْهُ أَمَانَتُهُ ، وَأَخَذَهُ تَلْمِيزًا بِالْكَرَاءِ يَتَعَلَّمُ الْحَيَاكَةَ
 فِي مَحَاكَةِ لَهُ . وَبَعْدَ سِنِينَ قَلِيلٍ ، صَارَ ذَلِكَ الصَّبِيُّ مِنْ
 أَمْرِ الْعَمَالِ فِي الْمَصْنَعِ وَأَكْثَرِهِمْ رَاتِبًا . وَأَخِيرًا تَوَلَّى
 رِيَاسَةَ الْعَمَلِ كُلِّهِ ، بِسَبَبِ مَهَارَتِهِ وَإِخْلَاصِهِ وَأَمَانَتِهِ ،
 وَعَاشَ فِي خَفْضٍ مِنَ الْعَيْشِ وَرَغَدٍ .

~~87822~~

87822

۱۳ - النمر

يَفْتَرِسُ الضَّخْمَ فَرِيَسَةً مَوْصِنٌ أَرْقَطٌ



النَّمْرُ حَيَوَانٌ يُشَبِّهُ الْقِطَّ فِي خِفَّتِهِ ، وَلَكِنَّهُ أَكْبَرُ
مِنْهُ جِسْمًا وَأَكْثَرُ قُوَّةً ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَفْتَرِسُ الْقَوَى مِنْ

الْإِنْسَانِ، وَالضَّخْمَ مِنَ الْحَيَوَانِ . وَكُلُّ مَخْلُوقٍ يَفِرُّ مِنْهُ مَتَى رَأَاهُ ، لِأَنَّهُ مُغْرَمٌ بِقَتْلِ مَا يُصَادِفُهُ بِسَبَبٍ وَبِغَيْرِ سَبَبٍ . بِخِلَافِ الْأَسَدِ ، فَإِنَّهُ لَا يَقْتُلُ حَيَوَانًا إِلَّا إِذَا جَاعَ .

وَجِلْدُ النَّمِرِ أَرْقَطٌ مُعَلَّمٌ بِأَعْلَامٍ سُودٍ تَمْتَدُّ مِنْ ظَهْرِهِ إِلَى بَطْنِهِ . وَلَهُ مَخَالِبٌ طَوِيلَةٌ مُبْرِزُهَا عِنْدَ الْهُجُومِ ، وَأَنْيَابٌ تَخْتَرِقُ عِظَامَ فَرِيَسَتِهِ . وَهُوَ لَا يَجْرِي كَغَيْرِهِ مِنَ الْحَيَوَانِ ، بَلْ يَثْبُتُ وَثَبَاتٍ وَاسِعَةٍ تَزِيدُ هَجْمَتَهُ عُنْفًا وَشِدَّةً .

وَالنَّمِرُ مَوْطِنُهُ الْهِنْدُ . وَيَسْكُنُ الْغَابَاتِ الْكَثِيفَةَ ، بِشَرْطٍ أَنْ تَكُونَ قَرِيبَةً مِنَ الْمَاءِ ، حَتَّى إِذَا خَرَجَ يَبْحَثُ عَنْ فَرِيَسَةٍ لَهُ وَرَأَى الصَّيَّادِينَ فِي طَلَبِهِ ، عَادَ سَاجِدًا وَبَلَغَ غَابَتَهُ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ أَحَدٌ .

وَفِي الْهِنْدِ يُخْرِجُ الصَّيَّادُونَ لِصَيْدِهِ ، مُنْتَطِنَ ظُهُورِ الْأَفْيَالِ وَمُدْجَجِينَ بِالسَّلَاحِ . فَإِذَا رَأَوْهُ قَادِمِينَ عَلَيْهِ ، تَوَنَّمُوا فِي الْغَابِ لِيَتَوَارَى فِي خِلَالِهِ . وَلَكِنْ تَمُوجُ

الْأَغْصَانِ يَنْمُو عَلَى مَكَانِهِ ، فَيُطْلِقُونَ عَلَيْهِ الرِّصَاصَ فَيَقَعُ
قَتِيلًا لَا حَرَكَاتٍ بِهِ . وَهُوَ وَالْفِيلُ عَدُوَّانِ لِدُودَانِ ، يَخَافُ
كُلُّهُمَا الْآخَرَ . وَلَكِنَّهُمَا إِذَا اجْتَمَعَا قَامَتْ بَيْنَهُمَا
حَرْبٌ شَدِيدَةٌ ، فَيَتَعَلَّقُ النَّمِرُ بِخُرْطُومِ الْفِيلِ ، وَيُحَاوِلُ
الْفِيلُ أَنْ يُبْلِقِيَهُ تَحْتَ أَقْدَامِهِ ، ثُمَّ يَنْزِلُ عَلَيْهِ بِكُلِّ
جِسْمِهِ فَيَقْتُلُهُ شَرًّا قَتْلًا .

۱۴ — هَدِيَّةُ الْفِيرَانِ

بِرَاعَةٍ مُدَاعَبَةٍ الْإِنْتِقَامِ حُرْمَةٍ يَتَقَرَّرُ

كَانَ لِامْرَأَةٍ قِطٌّ جَمِيلٌ تُحِبُّهُ كَثِيرًا لِبِرَاعَتِهِ فِي صَيْدِ
الْفِيرَانِ ، وَتَتَسَلَّى بِمُدَاعَبَتِهِ سَاعَاتِ الْإِنْفِرَادِ . تَخْرُجُ الْقِطُّ
يَوْمًا وَلَمْ يَعُدْ كِمَادَتِهِ . فَقَلِقَتِ الْمَرْأَةُ عَلَيْهِ ، وَخَرَجَتْ
تَبْحَثُ عَنْهُ ، فَوَجَدَتْهُ فِي الطَّرِيقِ قَتِيلًا بِرِصَاصَةٍ فِي رَأْسِهِ .
فَحَزِنَتْ عَلَيْهِ حُزْنًا شَدِيدًا .

وَبَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلٍ ، بَلَغَهَا أَنَّ جَارَهَا هُوَ الَّذِي قَتَلَ ذَلِكَ
الْقِطَّ لِحَاجَةٍ فِي نَفْسِهِ . فَأَغْتَاطَتْ مِنْ ذَلِكَ الْفِعْلِ السَّيِّئِ ،
وَصَمَّمَتْ عَلَى الْإِنْتِقَامِ مِنْ جَارِهَا ، الَّذِي لَمْ يُرَاعِ حُرْمَةَ
الْجَوَارِ ، وَلَمْ يَشْكُ ذَلِكَ الْقِطَّ إِلَيْهَا أَبَدًا . فَاشْتَرَتْ جُمْلَةَ
مَصَايِدَ لِلْفِيرَانِ ، صَادَتْ بِهَا أَكْثَرُ مِنْ خَمْسِينَ قَارًا . ثُمَّ
وَضَعَتْ الْفِيرَانَ فِي صُنْدُوقٍ كَبِيرٍ ، وَكَتَبَتْ عَلَيْهِ اسْمَ جَارِهَا
وَأَرْسَلَتْهُ إِلَيْهِ بِالْبَرِيدِ .

وَلَمَّا تَسَلَّمَ الرَّجُلُ الصُّنْدُوقَ فَرِحَ بِهِ ، وَظَنَّهُ هَدِيَّةً
نَفِيسَةً مِنْ أَحَدِ أَصْدِقَائِهِ . فَفَتَحَهُ لِيرَى مَا فِيهِ ، وَإِذَا
الْفِيرَانُ خَرَجَتْ تَتَبُّ فِي وَجْهِهِ ، وَأَنْتَشَرَتْ فِي أَنْحَاءِ
الْعُرْفَةِ وَهُوَ يَتَقَرَّزُ مِنْ ذَلِكَ الْمَنْظَرِ الْخَبِيثِ ، وَلَمْ يَدْرِ
سَبَبًا لِهَذِهِ الْمَكِيدَةِ . ثُمَّ التَفَّتْ فِي الصُّنْدُوقِ فَرَأَى وَرَقَةً
مَكْتُوبًا فِيهَا الْعِبَارَةُ الْآتِيَةُ :

« لَقَدْ قَتَلْتَ قِطِّي وَحَرَمْتَنِي مِنْ وُجُودِهِ ، فَأَهْدَيْتُ

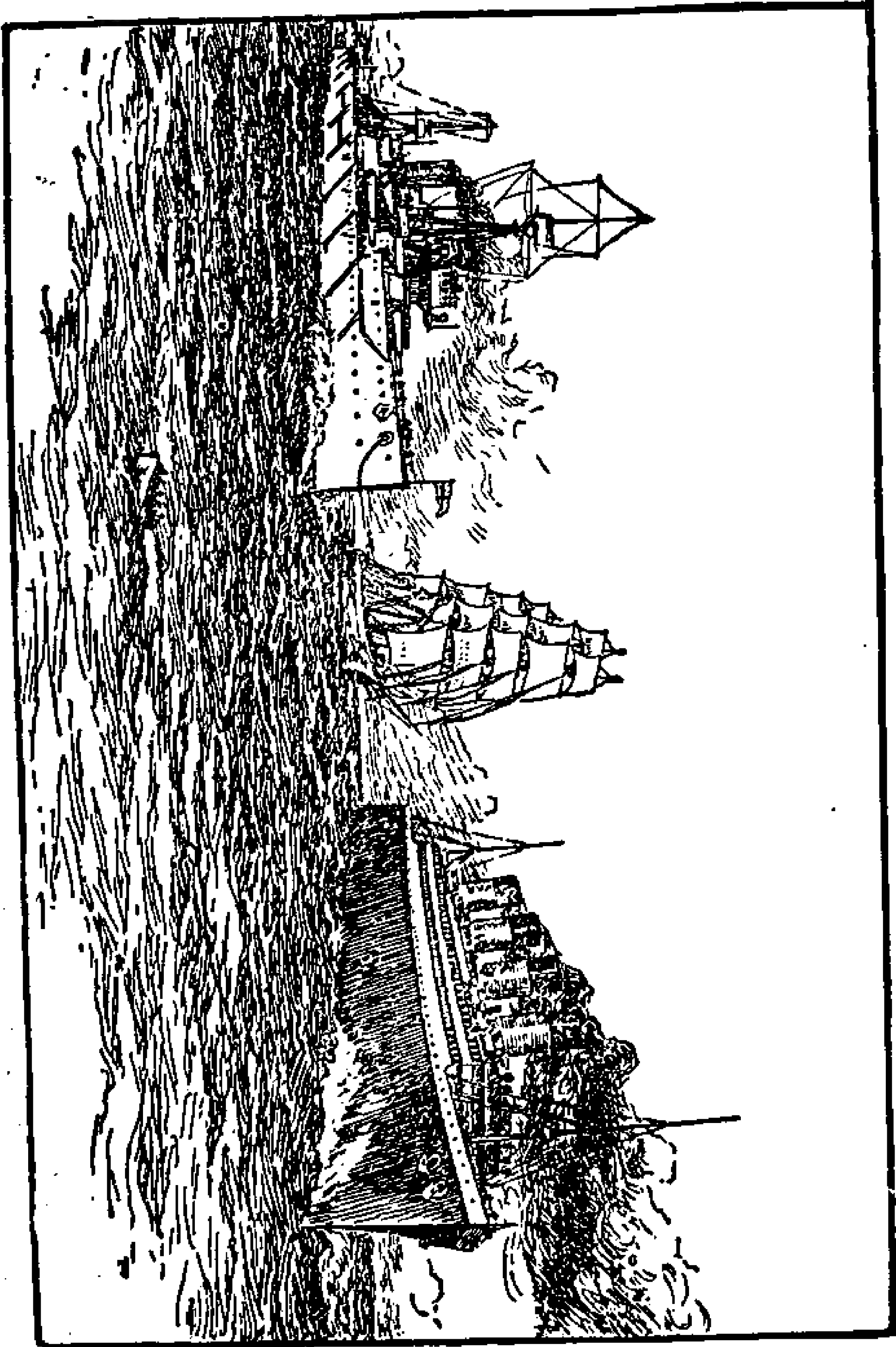
لَكَ هَذِهِ الْفِرَانُ الَّتِي أَصْبَحْتَ تَمْرَحُ فِي يَتِي بِلَا رَقِيبٍ .
فَصَبَرَ الرَّجُلُ عَلَى هَذِهِ الْمُصِيبَةِ ، الَّتِي أَعْتَبَرَهَا جَزَاءً
حَقًّا عَلَى سُوءِ فِعْلِهِ .

۱۵ - الْمَرَاجِبُ

الشَّرَاعِيَّةُ	مُبَالِيَّةُ	يَلَاطِمُ
صَدَمَ	يُمَازِلُ	نَقَّاهُ

كَانَتْ جَمِيعُ الْمَرَاجِبِ فِي الْأَزْمَانِ الْمَاضِيَةِ تُصْنَعُ مِنْ
الْخَشَبِ ، وَتَسِيرُ بِالْقِلَاعِ ، وَتُسَمَّى الْمَرَاجِبُ الشَّرَاعِيَّةُ .
وَفِي أَيَّامِنَا هَذِهِ ، يُصْنَعُ الْكَثِيرُ مِنْهَا مِنَ الْحَدِيدِ الصُّلْبِ ،
وَيَسِيرُ بِالْبُخَارِ ، فَسُمِّيَتْ مَرَاجِبَ بُخَارِيَّةً .
وَمِنْ الْمَرَاجِبِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي تَحْمِلُ مِائَاتٍ مِنَ النَّاسِ ،
وَمِنْ الصَّنَادِيقِ الْكَبِيرَةِ الْمَلُوءَةِ بِالْبَضَائِعِ ، وَتَسِيرُ فِي
الْمِيَاهِ فَتَخْتَرِقُ الْبِحَارَ الْكَبِيرَةَ ، غَيْرَ مُبَالِيَةٍ بِمَا يَلَاطِمُهَا

مِنَ الْمَوْجِ الَّذِي يُشْبِهُ الْجِبَالَ ، حَتَّى تَصِلَ إِلَى الْبِلَادِ الَّتِي



تَقْصِدُهَا بِالرُّكَّابِ وَبِالْبَضَائِعِ . وَتَمُكُّتُ فِي سَفَرِهَا
أَحْيَانًا عَشْرَاتٍ مِنَ الْأَيَّامِ ، لِأَنَّهَا أَقَلُّ سُرْعَةٍ مِنْ قِطَارِ
مِيكَةِ الْحَدِيدِ ، وَتَقْطَعُ أَبْعَادًا كَبِيرَةً فِي الْبَحَارِ . وَلَهَا فِي
مُؤَخَّرِهَا آلَةٌ أُسْمُهَا السُّكَّانُ ، تُوجِّهُهَا كَمَا يُرِيدُ الرُّبَّانُ .

وَإِذَا كَانَ الْبَحْرُ هَائِجًا ، مَالَ الْمَرْكَبُ مِنْ جَنْبٍ إِلَى
جَنْبٍ ، وَلَكِنَّهُ لَا يَغْطِسُ ، إِلَّا إِذَا صَدَمَ صَخْرًا وَأُنْفَتَحَتْ
فِيهِ فَتْحَةٌ يَدْخُلُ مِنْهَا الْمَاءُ فَيَغْرَقُ .

وَلِكُلِّ مَرْكَبٍ اِسْمٌ يُعْرَفُ بِهِ . وَيُسَمَّى الرِّجَالُ الَّذِينَ
يَعْمَلُونَ فِيهِ مَلَّاحِينَ . وَهُمْ أَقْوِيَاءُ جِدًّا ، لِأَنَّ هَوَاءَ الْبَحْرِ
قَلَّ أَنْ يُمَاتِلَهُ هَوَاءُ فِي نَقَائِهِ وَجُودَتِهِ . وَرَأْسُ هَوَّلَاءِ
الْمَلَّاحِينَ الرُّبَّانُ ، وَهُوَ الْحَاكِمُ فِي السَّفِينَةِ ، يَنْفِذُ أَمْرَهُ
فِي كُلِّ مَنْ فِيهَا ، حَتَّى الرُّكَّابِ .

۱۶ - سَاعَةُ الْحَائِطِ وَالْمِزْوَلَةِ

بُرْجُ قِمَّةٍ مِزْوَلَةٍ
يَتَّكِلُ تَسْتَطِيعِينَ مُعْتَمِدَةً



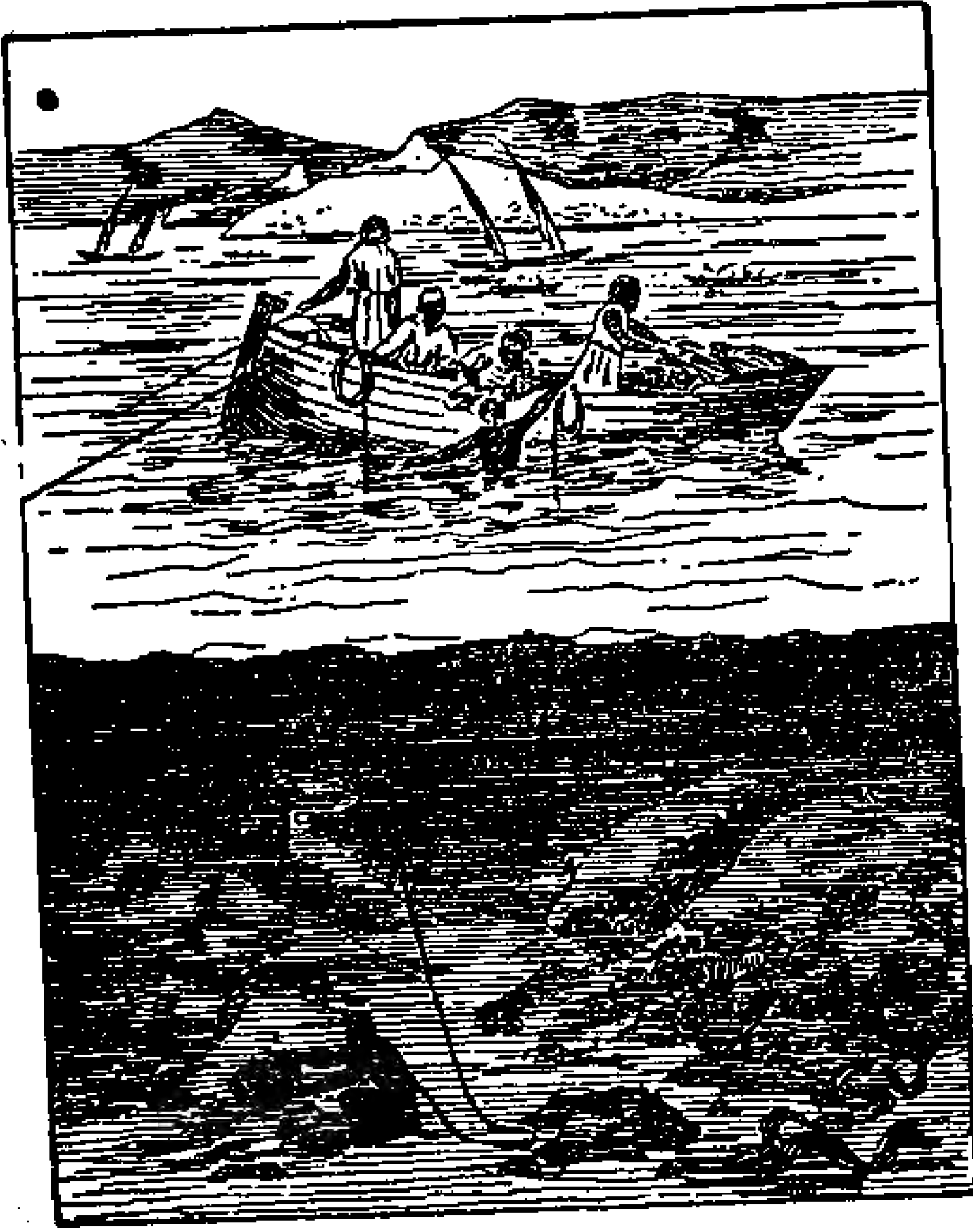
كَانَ فِي حَدِيقَةِ دَارٍ كَبِيرَةٍ مِزْوَلَةٌ تُبَيِّنُ الْوَقْتَ . وَكَانَ
مِنْ ضَمَنِ الْبِنَاءِ بُرْجٌ عَالٍ ، فِي قِمَّتِهِ سَاعَةٌ كَبِيرَةٌ تُطَلُّ
عَلَى الْحَدِيقَةِ . وَفِي يَوْمٍ كَثِيرِ النِّعَمِ ، قَالَتِ السَّاعَةُ
لِلْمِزْوَلَةِ : « كَيْفَ تَرْضَيْنَ أَنْ تَقِفِي مَوْقِفَكَ هَذَا مِنْ غَيْرِ

عَمَلٍ ؟ إِنَّكَ لِمَنْ يَتَّكِلُونَ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ ، فَلَا تَسْتَطِيعِينَ
 أَنْ تُؤَدِّيَ عَمَلِكَ ، وَتُبَيِّنِي الْوَقْتَ ، إِلَّا إِذَا أَضَاءَتْ عَلَيْكَ
 الشَّمْسُ . أَمَّا أَنَا ، فَإِنِّي أَعْمَلُ لَيْلًا وَنَهَارًا ، صَيْفًا وَشِتَاءً
 مُعْتَمِدَةً عَلَى نَفْسِي ، فَأُبَيِّنُ لِلنَّاسِ أَوْقَاتَ عَمَلِهِمْ وَرَاحَتِهِمْ
 وَأَكْلِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَنَوْمِهِمْ . اِسْمِعِي هَازِلًا أَدَقُّ : وَاحِدَةً
 اثْنَتَيْنِ ، ثَلَاثًا ، أَرْبَعًا . أَمَّا أَنْتِ ، فَلَا يَسْتَفِيدُ مِنْكَ أَحَدٌ
 إِلَّا إِذَا أَتَى لِيَرَاكَ .

ثُمَّ ظَهَرَتِ الشَّمْسُ مِنْ وَرَاءِ السَّحَابِ ، فَتَبَيَّنَ أَنَّ فِي
 السَّاعَةِ تَأَخُّرًا قَدْرُهُ نِصْفُ سَاعَةٍ . وَعِنْدَ ذَلِكَ تَبَسَّمَتِ
 الْمَرْؤَةُ مُسْتَهْزِئَةً بِخَطَايَا جَارِئَتِهَا ، وَقَالَتْ : « الْآنَ قَدْ ظَهَرَ
 الْحَقُّ . أَنْتِ تَعْمَلِينَ فَتُخْطِئِينَ ، وَتُوقِعِينَ فِي الْخَطَايَا مَنْ
 يَتَّكِلُ عَلَيْكَ ، فَلَا يَأْتِيهِمْ مِنْكَ إِلَّا الضَّرَرُ » فَقَالَتْ
 السَّاعَةُ : « لَيْسَ الْعَيْبُ أَنْ يَعْمَلَ الْمَرْءُ وَيُخْطِئَ ،
 وَلَكِنَّ الْعَيْبَ أَنْ يَتَّكِلَ عَلَى غَيْرِهِ فِي عَمَلِهِ » .

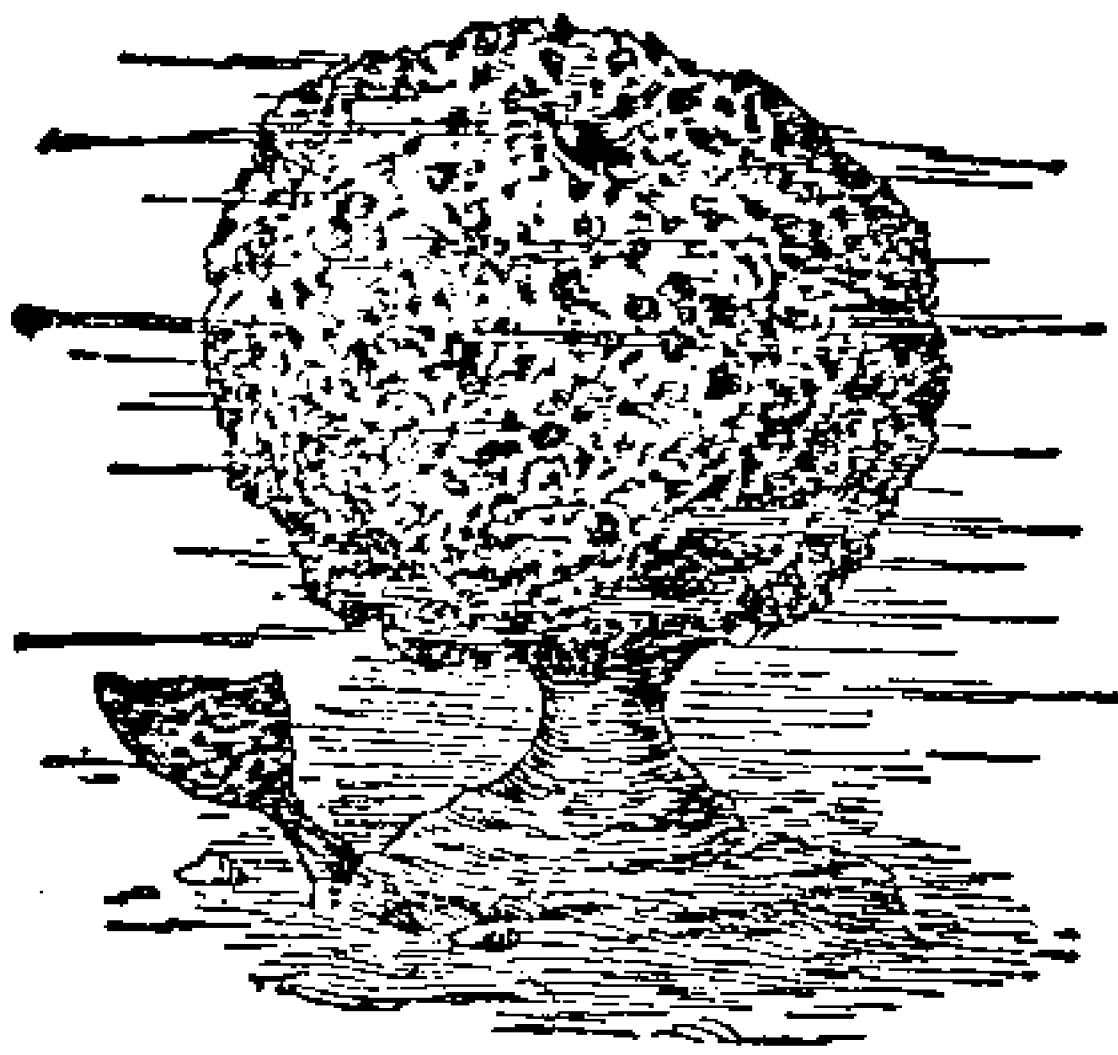
١٧ - الْإِسْفَنْجُ

تَأَقَّ أَعْمَاقُ الْغَوَّاصُونَ
مَاضٍ أَعْنَاقُ الْمَادَّةُ



كَانَ إِسْمَاعِيلُ وَلَدًا ذَكِيًّا ، إِذَا أَبْصَرَ شَيْئًا أَكْثَرَ مِنْ
السُّؤَالِ عَنْهُ حَتَّى يَعْرِفَ حَقِيقَتَهُ . فَيَنَامُ هُوَ يُنْظَفُ قَلَمُهُ
مَرَّةً بِقِطْعَةٍ مِنَ الْإِسْفَنْجِ وَهُوَ يَكْتُبُ فِي الْمَنْزِلِ ، تَأَقَّ

كَمَادَتِهِ إِلَى الْبَحْثِ ، فَسَأَلَ أَبَاهُ عَنْ مَحَلِّ وَجُودِهِ ، وَطَرِيقَةِ
صُنْعِهِ . فَضَحِكَ أَبُوهُ وَقَالَ : « لَيْسَ فِي قُدْرَةِ الْإِنْسَانِ



أَنْ يَصْنَعَ الْإِسْفَنْجَ
يَا إِسْمَاعِيلُ ، فَهُوَ مِنْ
صُنْعِ اللَّهِ فَقَطْ ، لِأَنَّهُ مِنْ
حَيَوَانَ يَعْيشُ فِي أَعْمَاقِ
الْبَحَارِ ، إِذَا أُخْرِجَ مِنْهَا

مَاتَ وَتَغَيَّرَتْ حَالَتُهُ » . فَدَهَشَ إِسْمَاعِيلُ بُرْهَةً كَأَنَّهُ غَيْرُ
مُصَدِّقٍ . ثُمَّ سَأَلَ : « وَكَيْفَ يُرَى يَا أَبِي ، وَهَلْ هُوَ يُصَادُ
كَمَا يُصَادُ السَّمَكُ ؟ » . فَأَجَابَهُ أَبُوهُ : « إِنَّ الْإِسْفَنْجَ
يَنْمُو كَالنَّبَاتِ ثَابِتًا فِي مَوْضِعِهِ ، وَلِذَلِكَ يَفْطِسُ الْفَوَاصِلُ
فِي طَلَبِهِ إِلَى أَعْمَاقِ الْبَحَارِ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِينَ ذِرَاعًا ،
وَيَقْطَعُونَهُ مِنَ الصُّخُورِ الَّتِي يَنْمُو عَلَيْهَا بِسِكِّينٍ مَاضٍ
وَبِسُرْعَةٍ عَظِيمَةٍ ، وَيَضَعُونَهُ فِي أَكْيَاسٍ مُعَلَّقَةٍ فِي أَعْنَاقِهِمْ ،

الْقِرَاءَةُ ج ۲ (۳)

ثُمَّ يَصْعَدُونَ مِنَ الْمَاءِ ، وَيَجْمَعُونَهُ كَوْمَةً عَلَى الرَّمْلِ ،
وَيَفْرُكُونَهُ بِأَرْجُلِهِمْ حَتَّى يَخْلُصَ مِنَ الْمَادَّةِ الْحَيَوَانِيَّةِ الَّتِي
عَلَيْهِ . وَبَعْدَ ذَلِكَ يُوضَعُ فِي الْمَاءِ الْغَالِي زَمَنًا ، حَتَّى تَزُولَ
رَاحَتُهُ الْحَيَوَانِيَّةُ .

١٨ - وَلَا تَصْنَعِ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ

طَائِشٌ	رَمَدٌ	يَبْقَى
فَطْ	إِحْذَرْ	لَيْتِمٌ



لَقَدْ رَمَدَ الثُّعْبَانُ يَوْمًا مِنَ الشِّتَا،
فَمَرَّ غُلَامٌ وَأُسْتَعِدَّ لِنُقْلِهِ،
وَجَاءَ بِهِ يَسْعَى إِلَى الدَّارِ طَائِشًا،
وَأَذْفَاهُ فَأَنْظَرُ لِقَلَّةِ عَقْلِهِ.
فَلَمَّا أَحَسَّ الْوَحْشُ بِالْدَّفِّ حَوَّلَهُ،
وَسَاحَتْ سُمُومُ الْمَوْتِ فِي الْجِسْمِ كُلِّهِ،
وَفَتَحَ عَيْنَيْهِ وَحَرَكَ رَأْسَهُ،
عَلَى الْوَلَدِ الْمُسْكِينِ يَبْغِي لِقَتْلِهِ،
أَتَاهُ أَبُوهُ عَاجِلًا قَطَّ رَأْسَهُ،
وَدَاسَ عَلَيْهِ غَاضِبًا بِنَعَالِهِ،
وَقَالَ مُنَى أَخْذَرُ لَيْمًا لَقِيَتَهُ،
«وَلَا تَصْنَعْ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ».

(العيون اليواقظ)

۱۹ - اَيَّ مِهْنَةٍ تَخْتَارُ

يَتَجَادَبُ	يَخْتَرِفُ	أَوَالِي	الْمَعَاوِلُ
الْمَسَاحِلُ	أَثَاثُ	مِنْقَرٌ	أَنْهَضَ
الْكَلَا	النَّضِيرُ	أَفْدِنُ	بِقَوْلٍ

إِعْتَادَ فَلَاحٍ فَقِيرٌ ، فِي قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى مُدِيرِيَّةِ
بَنِي سَوَيْفٍ ، أَنْ يَتَجَادَبَ الْحَدِيثَ مَعَ أَوْلَادِهِ ، بَعْدَ الْعِشَاءِ
وَقَبْلَ النَّوْمِ .

وَكَانَ الرَّجُلُ ذِكْرَى الْفُؤَادِ ، وَلِذَلِكَ كَانَ لَا يَخْتَارُ إِلَّا
الْمَوْضُوعَاتِ الَّتِي يَكُونُ مِنْ وَرَائِهَا تَعْلِيمٌ لَهُمْ . وَفِي
ذَاتِ لَيْلَةٍ ، سَأَلَ أَصْغَرَهُمْ وَهُوَ شَعْبَانُ - وَكَانَ عُمُرُهُ
سَبْعَ سَنَوَاتٍ - عَمَّا يَرْغَبُ أَنْ يَخْتَرِفَهُ ، بَعْدَ انْتِهَائِهِ مِنْ
الدِّرَاسَةِ فِي الْمَكْتَبِ . فَقَالَ شَعْبَانُ : « أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ
حَدَّادًا ، فَأَتَّخِذَ لِي فِي الْقَرْيَةِ دُكَّانًا لَطِيفًا ، أَجْعَلَ الْكُورَ
فِي رُكْنٍ مِنْهُ ، وَعَلَى جَانِبِهِ أُثَبِّتُ كِرَافَةً وَسَنْدَانًا ، فَأَشْغَلُ

النَّارَ وَأَصْنَعُ فِيهَا الْحَدِيدَ ، وَأُوَالِي النَّفْخَ بِالْكَبِيرِ حَتَّى يَبْيَضَ
الْحَدِيدُ فَاطْرُقَهُ ، وَأُمْتَعْ نَظْرِي بِرُؤْيَا الشَّرَرِ الْأُحْمَرِ يَتَطَايَرُ
مِنْ تَحْتِ الْمِطْرَقَةِ ، وَأَصْنَعُ مِنَ الْحَدِيدِ وَهُوَ لَيْنٌ الْفُؤُسَ
وَاللُّجَمَ ، وَالسَّلَاسِلَ وَالْمَعَاوِلَ وَالْمَسَامِيرَ وَالْمَسَاحِلَ
وَالْمَسَاحِجَ وَالنَّعَالَ الْحَدِيدِيَّةَ ، وَكَثِيرًا غَيْرَهَا .

وَلَمَّا سَأَلَ يُونُسَ — وَكَانَ عُمرُهُ تِسْعًا — عَمَّا يَرْغَبُ فِيهِ
قَالَ : « أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ نَجَّارًا ، فَأُشَارِكَ أَخِي شَعْبَانَ فِي
صُنْعِ حَاجَاتِ الْمَنَازِلِ ، مِنْ شَبَائِكَ وَأَبْوَابٍ وَأَرْفُفٍ
وَسُقُوفٍ وَأَثَاثٍ ، بِمِنْشَارِي وَقَدُومِي وَمِسْحَجِي وَمِنْقَرِي .
وَلَمَّا سُئِلَ الْأَكْبَرُ ، وَهُوَ إِسْحَاقُ — وَكَانَ عُمرُهُ إِحْدَى
عَشْرَةَ سَنَةً — قَالَ : « إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ زَرَّاعًا ، فَأَنْهَضَ
مِنْ فِرَاشِي مُبَكَّرًا ، وَأَخْرُجَ لِأَسْمَعَ تَغْرِيدَ الطُّيُورِ ،
وَأَتَمَعَ بِرُؤْيَا الْكَلَالِ النَّضِيرِ الْجَمِيلِ الْخُضْرَةِ ، وَأُطْعِمَ
الْبَقَرَ وَالْخَيْلَ وَالْأَغْنَامَ ، وَأُفْدِنَ وَأَزْرَعَ وَأَحْصِدَ ثَمَرَ الْعَمَلِ ،
مِنْ حُبُوبٍ وَبُقُولٍ وَقُطْنٍ وَفَوَاكِهٍ مِنْ كُلِّ الْأَصْنَافِ . »

۲۰ - مِصْرُ وَالْإِسْكَندَرِيَّةُ (۱)

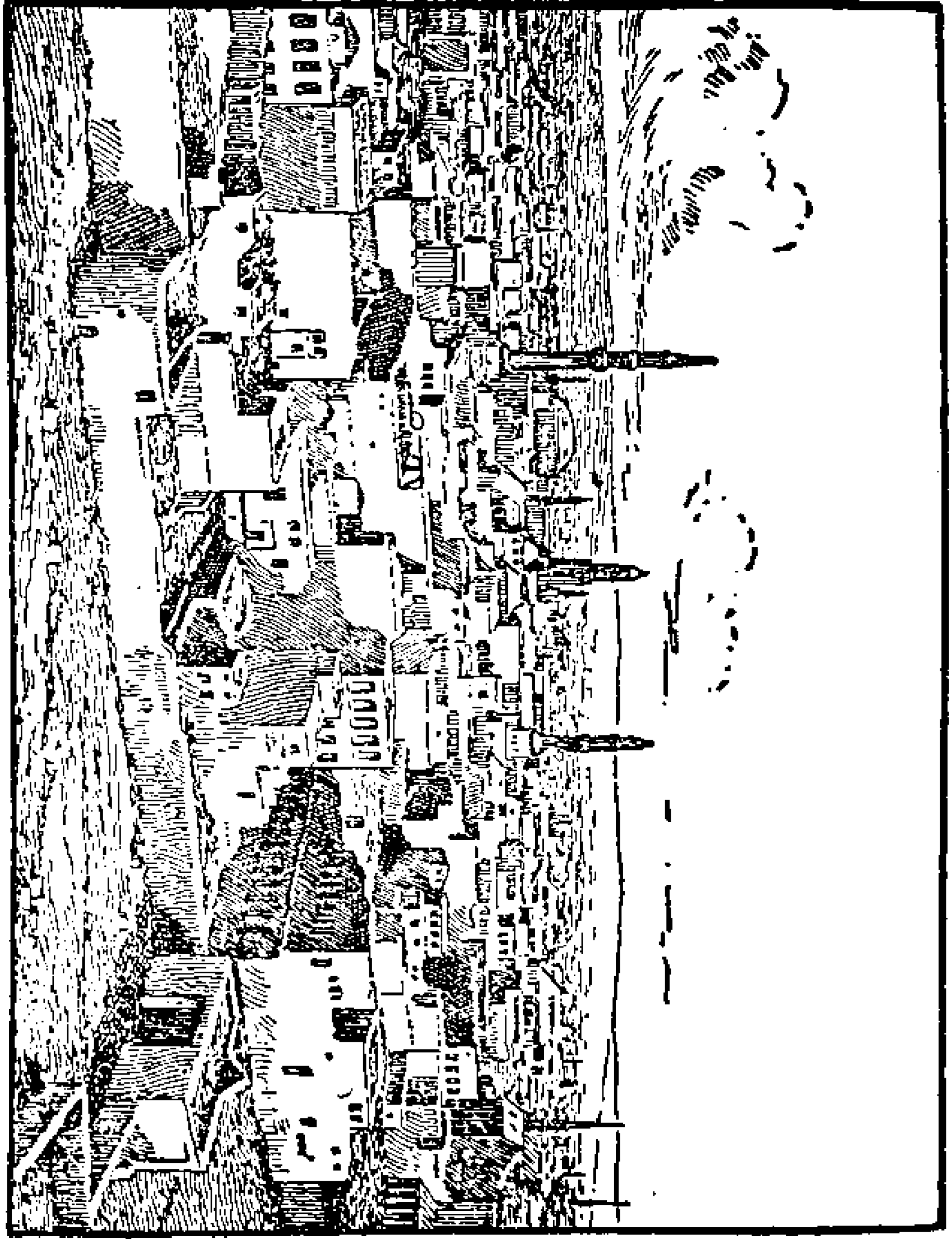
إِسْتِقْبَالُ الْمَسَارِبِ شَرَعَ فُرْصَةً أَهْمِيَّةً

مِصْرُ - كَيْفَ أَنْتِ يَا صَدِيقَتِي الْبَحْرِيَّةَ أَيَّامَ
الرُّطُوبَةِ وَالْمَطَرِ ؟

الْإِسْكَندَرِيَّةُ - أَنَا بِخَيْرٍ وَعَافِيَةٍ ، وَلَا يَضُرُّنِي الْمَطَرُ ،
لَأَنِّي دَائِمًا مُسْتَعِدَّةٌ لِإِسْتِقْبَالِهِ . وَقَدْ عَمِلْتُ
لَهُ الْمَسَارِبَ تَحْتَ الْأَرْضِ ، فَلَا يَبْقَى
عَلَى وَجْهِهِ مِنْهُ شَيْءٌ . أَمَّا أَنْتِ ، فَمُصِيبَتُكَ
كَبِيرَةٌ مِنْ كَثْرَةِ الْوَحْلِ إِذَا نَزَلَ الْمَطَرُ .

مِصْرُ - لَا تَتَبَاهَى بِتِلْكَ الْمَسَارِبِ ، وَيَظْهَرُ أَنَّكَ
تَجْهَلِينَ أَنِّي عَمِلْتُ أَحْسَنَ مِنْهَا ، وَصِرْتُ
بِذَلِكَ أَجْمَلَ مِنْكَ وَأَنْظَفَ . وَأَصْبَحْتُ
أَعْظَمَ مَدِينَةٍ فِي إِفْرِيقِيَّةِ .

الْإِسْكَندَرِيَّةُ - أَمَّا الْجَمَالُ فَلِي أَغْلَبُهُ ، وَأَمَّا الْكِبَرُ فَقَدْ
أَنْفَرَدْتُ بِهِ أَنْتِ ، وَمَا هَذَا بِالشَّيْءِ



الْمَعْظِيمِ . أَنْظِرِي إِلَى تِجَارَتِي ، وَالسُّفُنِ
الْكَثِيرَةِ الرَّاسِيَةِ فِي فُرُصَتِي . أَلَا يَدُلُّ

مِصْرُ - الْعِظَمَةُ لِلَّهِ ! أَنَا مَرْكَزُ الْحُكُومَةِ وَأَسَاسُ كُلِّ هَذَا عَلَى مِقْدَارِ عَظَمَتِي وَأَهَمِّيَّتِي ؟

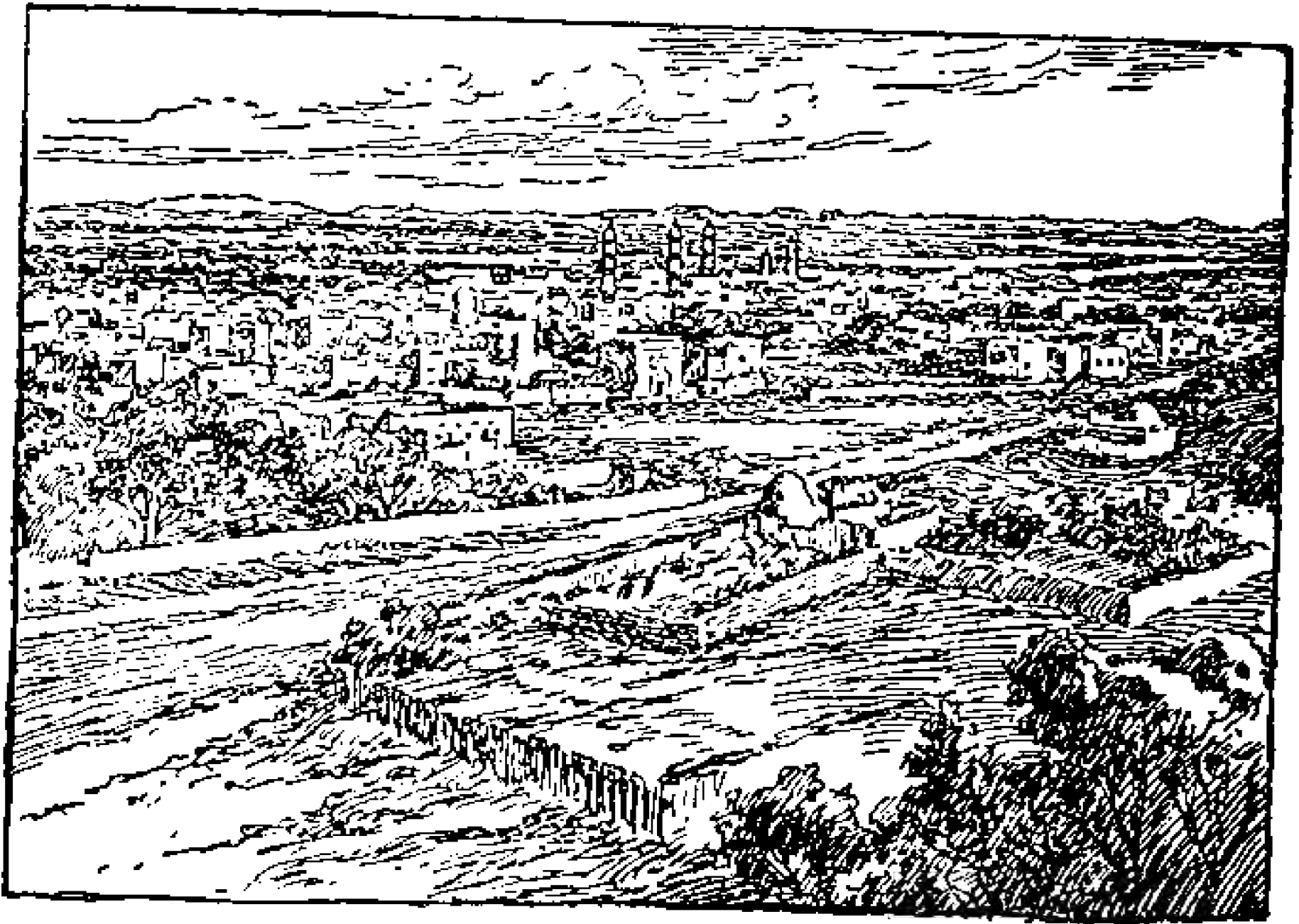
الْأَعْمَالِ ، وَأَمْرِي نَافِذٌ فِي جَمِيعِ بِلَادِ الْقَطْرِ وَأَنْتِ مِنْ مُجْلَدَتِهَا ، فَلَا يَصِحُّ لِلْخَادِمِ أَنْ يَشْمَخَ عَلَى سَيِّدِهِ .

الْإِسْكَندَرِيَّةُ - إِنْ كَانَ كُلُّ بِلَادِ الْقَطْرِ خُدَامًا لَكَ فَأَنَا لَسْتُ خَادِمَةً ، لِأَنَّ رِجَالَ الْحُكُومَةِ تَقْضِي الصِّيفَ عِنْدِي ، وَجَلَالَةُ الْمَلِكِ الْمَحْبُوبِ أَوْلَهُمْ ، وَهُوَ يُجِبُّنِي وَيَعْرِفُ أَنَّ الطَّفْ مِنْكَ وَأَجُودُ هَوَاءً .

مِصْرُ - أَشْهُرُ الصِّيفِ بَقِيلَةٌ جَدًّا ، وَلَيْسَ فِيهَا عَمَلٌ يُذَكِّرُ ، فَهُوَ وَقْتُ عُطْلَةٍ وَرَاحَةٍ لَا يُكْسِبُ الْبِلَادَ شَيْئًا . وَأَمَّا الشِّتَاءُ ، فَفِيهِ تَزِيدُ حَرَكََةُ الْأَعْمَالِ التِّجَارِيَّةِ ، وَيَأْتِي الْجَوَابُونَ فَيَمْرُؤْنَ بِكَ مَرًّا وَيُسْرِعُونَ إِلَى .

٢١ - مِصْرُ وَالْإِسْكَندَرِيَّةُ (٢)

الْعَتِيقَةُ	مَقَابِرُ	عَرِيقَةٌ	قَصَبَةٌ
الْمِسَلَّةُ	دَرَسَ	مَوَّلَى	ثَلَاثُمِائَةٍ



الْإِسْكَندَرِيَّةُ - مَاذَا يَرَوْنَ فِيكَ يَا مِصْرُ مِنَ الْمَنَاطِرِ ؟
وَلَيْسَ عِنْدَكَ إِلَّا الْقُبُورُ الْعَتِيقَةُ ، وَبَعْضُ
آثَارِ الْقُدَمَاءِ .

مِصْرُ - أَنَا مَلَانَةٌ بِالْآثَارِ الْقَدِيمَةِ وَالْحَدِيثَةِ ،
كَأَهْرَامِ الْجِيزَةِ وَأَبِي الْهَوَلِ وَأَهْرَاءِ

سَقَارَةٌ ، وَمَقَابِرُ الْخُلَفَاءِ وَالْمَسَاجِدِ الَّتِي
لَا تُعَدُّ ، وَكُلُّ هَذَا يُرِيكَ أَنِّي عَرِيقَةٌ
فِي الْمَجْدِ وَالشَّرَفِ .

الْإِسْكََنْدَرِيَّةُ - أَنَا أُغْرِقُ مِنْكَ مَجْدًا ، فَقَدْ بَنَانِي
الْإِسْكََنْدَرُ الْأَكْبَرُ قَبْلَ الْمِيلَادِ ، وَمِنْهُ
أَخَذْتُ أَسْمِي ، وَكُنْتُ قَصَبَةَ الدِّيَارِ
الْمِصْرِيَّةِ ، وَعِنْدِي عَمُودُ السَّوَارِي شَاهِدًا
عَلَى ذَلِكَ .

مِصْرُ - أَنَا أَقْدَمُ مِنْ ذَلِكَ الْإِسْكََنْدَرِ وَأَيُّهُ ،
لِأَنَّ الْمَطْرِيَّةَ كَانَتْ قَصَبَةَ مِصْرَ أَيَّامِ
الْفَرَاعِنَةِ ، وَالْمِسْلَةُ الْقَائِمَةُ فِيهَا إِلَى الْآنَ
شَاهِدَةٌ عَلَى ذَلِكَ .

الْإِسْكََنْدَرِيَّةُ - إِنَّ الْمَطْرِيَّةَ دُفِنَتْ بَعْدَ ذَلِكَ الْحِينِ ،
وَكَذَلِكَ دَرَسَتْ الْفُسْطَاطُ ، الَّتِي أَنْشَأَهَا

عَمَرُو بَنُ الْعَاصِ . أَمَا أَنْتِ فَقَدْ أَنْشَأَكِ
جَوْهَرٌ مَوْلى الْمُعِزِّ لِدِينِ اللَّهِ بَعْدِي ، بِنَحْوِ
أَلْفٍ وَثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ .

مِصْر - دَعِينَا مِنْ هَذَا التَّفَاخُرِ ، فَقَدْ تَقَلَّبْتُ عَلَى
كُلِّ مِثْلٍ مِنَّا أَحْوَالٌ وَأَزْمَانٌ ، وَقَدْ أَصْبَحْنَا
الآنَ يَدًا وَاحِدَةً وَقَلْبًا وَاحِدًا ، لَا يَفْرِقُنَا
إِلَّا الْبُعْدُ ، فَلْنَعِشْ أُخْتَيْنِ حَبِيبَتَيْنِ .
الْإِسْكَنْدَرِيَّةُ - أَنَا أَفْدِيكَ بِرُوحِي وَمَالِي ، وَأَدْفَعُ عَنْكَ
كُلَّ عَدُوٍّ يَأْتِي مِنْ جِهَتِي ، لَتَعِيشِي بِسَلَامٍ

٢٢ - الْأَسَدُ وَالْثَعْلَبُ

مُسْتَعْمٌ	تَهَابُ	أَشْرَفَ	تَمَارَضَ
إِعْتَزَلَ	مُتَرَدَّدٌ	نَأْتَسُ	عَوَّلَ

كَانَ أَسَدٌ يَعِيشُ فِي مَكَانٍ يَكْثُرُ فِيهِ الشَّجَرُ . وَكَانَ
مُسْتَعْمًا مُحْتَرَمًا ، تَهَابُهُ كُلُّ الْوُحُوشِ فِي الْأَحْرَاشِ ، لِشِدَّةِ

بأسِهِ . وَلَمَّا شَاخَ ضَعُفَ ، وَلَمْ يَعُدْ يَقْوَى عَلَى اصْطِيَادِ قُوَّتِهِ كَمَا كَانَ أَيَّامَ قُوَّتِهِ ، حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ . فَعَمِدَ إِلَى الْحِيلَةِ لِتَحْصِيلِ غِذَائِهِ ، مَا دَامَتِ الْقُوَّةُ قَدْ زَالَتْ مِنْهُ . فَتَمَارَضَ وَاعْتَزَلَ فِي غَارٍ ، حَتَّى إِذَا أَتَتْ الْوُحُوشُ لِرِيَازَتِهِ قَتَلَهَا غَدْرًا ، وَأَفْتَرَسَهَا دَاخِلَ الْغَارِ وَأَكَلَهَا . وَذَاتَ يَوْمٍ أَتَى ثَعْلَبٌ ، وَوَقَفَ بِيَابِ الْغَارِ مُتَرَدِّدًا بَيْنَ الدُّخُولِ وَالْإِنْصِرَافِ ، حَتَّى رَأَاهُ الْأَسَدُ وَقَالَ : « أَهْلًا بِكَ يَا أَبَا الْحَصِينِ ! مَا بِكَ لَا تَدْخُلُ حَتَّى نَأْتِسَ بِكَ فِي حَالِ الْوَحْدَةِ وَالْمَرَضِ ؟ وَلَوْ كُنْتُ صَحِيحًا سَلِيمًا لَخَرَجْتُ أَنَا لِمُلَاقَاتِكَ ، لِمَا لَكَ عِنْدِي مِنَ الْقِيَمَةِ وَالْإِعْتِبَارِ » . فَقَالَ الثَّعْلَبُ : « أَتَيْتُ لِأَعُودَ سَيِّدَ الْوُحُوشِ . وَقَدْ كُنْتُ عَوَّلْتُ عَلَى الدُّخُولِ وَالْجُلُوسِ مَعَهُ لِأُسَلِّيَهُ ، وَأُخَفِّفَ عَنْهُ الْأَلَمَ ، غَيْرَ أَنِّي أَرَى آثَارَ أَقْدَامِ كَثِيرَةٍ دَخَلَتْ وَلَمْ تَخْرُجْ ؛ وَلِذَلِكَ أَكْتَفَى بِسُؤَالِ سَيِّدِي عَنْ حَالِهِ ، رَاجِيًا مِنَ اللَّهِ لَهُ السَّلَامَةُ » . ثُمَّ أَنْصَرَفَ مُعْتَبِرًا بِمَا قَدْ حَصَلَ لِغَيْرِهِ .

٢٣ - الشّاي

مُنْعِشٌ بَرِّيُّ يَغْرَسُ مُضَرَّسٌ يُعْتَبَرُ
تُجَيُّ أَحْوَلُ الْخِلَاصَةُ تُجَفَّفُ تُصَدَّرُ



يُصَنِّعُ مِنَ الشّاي شَرَابٌ مُنْعِشٌ ، يَوْضَعُ الْمَاءُ الْمَغْلَى
عَلَى أَوْزَاقِهِ .

وَأَصْلُ مَوْطِنِهِ بِلَادُ الصِّينِ . وَهُوَ الْآنَ يَنْبُتُ فِي
الْيَابَانَ ، وَفِي جِهَاتٍ مِنْ بِلَادِ الْهِنْدِ ، كَاسَامَ وَسَيَلَانَ .
وَقَدْ كَانَ فِي بَادِيٍّ أَمْرِهِ بَرِّيًّا ، يَنْبُتُ فِي الْأَحْرَاشِ
أَشْجَارًا عَالِيَةً . أَمَّا الْآنَ وَقَدْ عُرِفَتْ فَائِدَتُهُ ، وَاعْتِنَى

النَّاسُ بِزَرَاعَتِهِ ، فَهُمْ يَغْرِسُونَهُ فِي بَسَاتِينَ خَاصَّةٍ ، وَلَا
يَتْرُكُونَ أَشْجَارَهُ تَطُولُ ، بَلْ يُقَلِّمُونَهَا وَهِيَ صَغِيرَةٌ لِكَيْمَا
تَكْثُرَ أَوْزَاقُهَا . وَلِنَبَاتِ الشَّيْ زَهْرٌ أَيْضٌ جَمِيلُ الْمَنْظَرِ
طَيِّبُ الرَّائِحَةِ ، وَفِي وَسْطِهِ خُيُوطٌ صُفْرٌ . أَمَّا الْأَوْزَاقُ
فَصَغِيرَةٌ مُضْرَسَةٌ ، وَلَا يَنْقَطِعُ نَبْتُهَا طُولَ السَّنَةِ ، وَلِذَلِكَ
يُعْتَبَرُ الشَّيْ مِنَ النَّبَاتِ دَائِمِ الْخُضْرَةِ .

وَلَا تُجْنَى الْأَوْزَاقُ مِنَ الشَّجَرَةِ ، إِلَّا إِذَا بَلَغَتْ الشَّجَرَةُ
الْحَوْلَ الثَّلَاثَ مِنَ الْعُمُرِ ، وَتُجْنَى ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي السَّنَةِ
حِينَ تَكُونُ الْأَوْزَاقُ طَرِيَّةً . وَمِنَ الْجَنِيِّهِ الْأُولَى يُؤْخَذُ
أَحْسَنُ الشَّيْ لَوْنًا وَرَائِحَةً وَطَعْمًا . أَمَّا أَوْزَاقُ الْجَنِيِّتَيْنِ
الثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثَةِ ، فَقَلِيلَةُ الْخُلَاصَةِ ، كَثِيرَةُ الْمَرَارَةِ .

وَبَعْدَ جَنَى الْأَوْزَاقِ يُجَفَّفُ فِي الشَّمْسِ ، ثُمَّ عَلَى النَّارِ
فَتُلْتَفُ ، ثُمَّ تُوضَعُ فِي صَنَادِيقَ كَبِيرَةٍ وَتُصَدَّرُ لِلتَّجَارَةِ .

٢٤ - الْمُدَّعَى

أَجَمَةٌ يَخْشَى الْمُدَّعَى اسْتَلْقَى
بَدَنُ الْمَيِّتَةِ الْمَزَاحُ



مَرَّ رَجُلَانِ فِي أَجَمَةٍ كَثِيرَةِ الْأَشْجَارِ ، فَرَأَى أَحَدُهُمَا
عَلَى الْأَرْضِ آثَارَ أَقْدَامِ السَّبَاعِ ، فَقَالَ لِرَفِيقِهِ : إِنَّهُ يَخْشَى

أَنْ يَخْرُجَ عَلَيْهِمَا سَبْعٌ فَيَقْتُلُهُمَا ، وَلَيْسَ مَعَهُمَا سِلَاحٌ
يُدَافِعَانِ بِهِ عَنْ نَفْسَيْهِمَا . فَقَالَ الْآخَرُ : « لَا تَخَفْ
مَا دُمْتُ أَنَا مَعَكَ ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَبْلَغَ شَجَاعَتِي وَقُوَّتِي
و . . » ، وَمَا كَادَ يُتِمُّ كَلَامَهُ حَتَّى سَمِعَا صَوْتَ دُبٍّ
آتِيًا ، فَتَرَكَ ذَلِكَ الْمُدَّعَى رَفِيقَهُ ، وَجَرَى نَحْوَ شَجَرَةٍ
وَصَعَدَ إِلَى قِمَّتِهَا هَرَبًا مِنَ الدُّبِّ . وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَلْقَى
عَلَى الْأَرْضِ وَكَتَمَ نَفْسَهُ . وَلَمَّا جَاءَ الدُّبُّ ، دَارَ حَوْلَهُ يَشُمُّ
بَدَنَهُ فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ نَفْسًا ، فَظَنَّ أَنَّهُ مَيِّتٌ وَتَرَكَهُ
وَأَنْصَرَفَ ، لِأَنَّهُ لَا يَأْكُلُ الْمَيِّتَةَ .

وَبَعْدَ أَنْ ذَهَبَ الدُّبُّ نَزَلَ ذَلِكَ الْمُدَّعَى عَنِ الشَّجَرَةِ ،
وَأَقْبَلَ نَحْوَ رَفِيقِهِ وَهُوَ فِي شِدَّةِ الْخَجَلِ ، وَسَأَلَهُ عَلَى سَبِيلِ
الْمُزَاحِ عَمَّا قَالَهُ الدُّبُّ فِي أُذُنِهِ . فَقَالَ الثَّانِي : « هَذَا دُبٌّ
حَكِيمٌ . فَلَقَدْ أَخْبَرَنِي أَنَّ مَا دِخَ نَفْسِهِ كَذَابٌ لَا يُصَدَّقُ ،
وَلَا يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ » .

۲۵ — اَلْبَيْغَاءُ



اَلِفٌ صَبِيحَةٌ

يُوْهِمُ تُنْهِى

بِكَمَاءُ اَلْقَعِيْدَةُ

قَرَى اَلْعَقِيْقُ

طَرَفٌ خُدُوْرٌ فَرَطٌ

اَلْفَتْهَا صَبِيْحَةٌ مَلِيْحَةٌ ،

نَاطِقَةٌ بِاَللِّغَةِ اَلْفَصِيْحَةِ .

عُدَّتْ مِنْ اَلْاَطْيَارِ وَاللِّسَانِ ،

يُوْهِمُنِي بِاَنَّهَا اِنْسَانٌ .

تُنْهِى اِلَى صَاحِبِهَا اَلْاَخْبَارَا ،

وَتَكْشِفُ اَلْاَسْرَارَ وَالْاَسْتَارَا .

قراءة ج ۲ (۴)

بَكْمَاءٍ إِلَّا أَنَّهَا سَمِيعَةٌ ،

تُعِيدُ مَا تَسْمَعُهُ طَبِيعَةٌ

زَارَتْكَ مِنْ بِلَادِهَا الْبَعِيدَةِ ،

وَأَسْتَوْطَنْتْ عِنْدَكَ كَالْقَعِيدَةِ .

صَيْفٌ قَرَاهُ الْجُوزُ وَالْأَرُزُ ،

وَالضَّيْفُ فِي إِثْيَانِهِ يُعَزُّ .

تَرَاهُ فِي مِنْقَارِهَا الرَّقِيقِ ،

كَكُلُولٍ يُلْقَطُ بِالْعَقِيقِ .

تَنْظُرُ مِنْ طَرَفَيْنِ كَأَفْصَيْنِ ،

فِي النُّورِ وَالظُّلْمَةِ بَصَاصَيْنِ .

فَرِيدَةٌ خُدُورُهَا الْأَقْفَاصُ ،

لَيْسَ لَهَا مِنْ حَبْسِهَا خَلَاصُ .

تَحْبِسُهَا وَمَا لَهَا مِنْ ذَنْبٍ ،

وَإِنَّمَا ذَاكَ لِفَرْطِ الْحُبِّ .

(أبو اسحاق الصابي)

۲۶ — الصَّابُونُ (۱)

كَانَ صَالِحٌ يَوْمًا يَغْسِلُ يَدَيْهِ بِالصَّابُونِ ، وَاسْتَغْرَبَ
 كَيْفَ يُزِيلُ الدُّهْنَ ، فَعَوَّلَ عَلَى الْأُسْتَعْلَامِ عَنْ ذَلِكَ مِنْ
 قَمٍّ لَهُ مُدَرِّسٍ ، اُعْتَادَ زِيَارَةَ أَبِيهِ مِنْ حِينٍ إِلَى حِينٍ . فَلَمَّا
 حَضَرَ عَمُّهُ ، طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُ كَيْفَ يُعْمَلُ الصَّابُونُ ،
 وَكَيْفَ يُزِيلُ الدَّسَمَ . فَأَعْطَى الْخَادِمَ قِرْشًا وَأَمَرَهُ بِشِرَاءِ
 قَلِيلٍ مِنَ الصُّودَا مِنَ الصَّيْدَلَانِي . وَلَمَّا حَضَرَ بِهَا الْخَادِمُ
 أَمَرَهُ الْأُسْتَاذُ بِإِحْضَارِ كَأْسٍ مِنَ الْمَاءِ ، ثُمَّ وَضَعَ الصُّودَا
 فِي الْكَأْسِ وَأَخَذَ يُقَلِّبُهَا حَتَّى ذَابَتْ . فَطَلَبَ مِنْ صَالِحٍ
 أَنْ يَأْتِيَهُ بِزُجَاجَةٍ مَمْلُوءَةٍ إِلَى نِصْفِهَا بِالزَّيْتِ . وَلَمَّا حَضَرَتْ
 سَأَلَ الْأُسْتَاذُ صَالِحًا : « هَلْ تَظُنُّ أَنَّ الْمَاءَ يَمْتَزِجُ
 بِالزَّيْتِ ؟ » فَقَالَ صَالِحٌ : « إِنَّ الزَّيْتَ يَطْفُو لِأَنَّهُ أَخَفُّ
 مِنَ الْمَاءِ » . فَصَبَّ الْأُسْتَاذُ ذَوْبَ الصُّودَا فِي الْقَارُورَةِ
 عَلَى الزَّيْتِ وَسَدَّهَا ، وَجَعَلَ يَهْزُهَا بِشِدَّةٍ زَمَنًا . فَلَا حَظَّ

صَالِحٌ أَنَّ الزَّيْتَ يَمْتَرِجُ بِالصُّودَا، وَيُكُونُ شَيْئًا جَدِيدًا
يُخَالِفُ الزَّيْتَ فِي لَوْنِهِ . ثُمَّ وَضَعَ الْقَارُورَةَ عَلَى الْأَرْضِ
دَقِيقَتَيْنِ حَتَّى هَدَأَتْ حَرَكَةَ السَّائِلِ ، فَرَأَى صَالِحٌ مَاءً فِي
قَعْرِ الْقَارُورَةِ ، طَافِيَةً عَلَيْهِ مَادَّةٌ جَدِيدَةٌ ، أَخَذَ مِنْهَا قَلِيلًا
فِي يَدِهِ ، فَإِذَا بِهَا لَيِّنَةٌ نَاعِمَةٌ أَلْمَسَ تَشْبَهُ الصَّابُونَ . فَقَالَ
لَهُ عَمَّهُ : « هَذَا هُوَ الصَّابُونَ يَا صَالِحُ ؛ غَيْرَ أَنَّ بِهِ شَيْئًا
مِنَ الْمَاءِ يَخْلُصُ مِنْهُ بِالْغَلِي ، ثُمَّ إِذَا بَرُدَ جَمَدَ » . وَبَعْدَ
ذَلِكَ أَخَذَا يُغْلِيَانِهِ ، وَلَمَّا بَرُدَ أَخَذَ صَالِحٌ الصَّابُونَ
الْمُتَكَوِّنَ ، وَغَسَلَ بِهِ يَدَيْهِ بَعْدَ أَنْ دَهَنَهُمَا بِالذَّسَمِ ، وَهُوَ
مُبْتَهَجٌ بِمَا اسْتَفَادَهُ .

۲۷ — الصَّابُونَ (۲)

يَتَرَقَّبُ يَذَلِكُ يُعَوِّضُ إِمَاعَةٌ
تَذَكَّرَ صَالِحٌ بَعْدَ خُرُوجِ عَمِّهِ ، أَنَّ هُنَاكَ شَيْئًا مِمَّا أَرَادَ
مَعْرِفَتَهُ ، فَاتَّهُ أَنْ يَسْأَلَ عَمَّهُ عَنْهُ . فَصَارَ يَتَرَقَّبُ عَوْدَتَهُ

حَتَّى حَضَرَ يَوْمًا ، فَبَعْدَ أَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُوضَحَ
لَهُ سَبَبَ إِزَالَةِ الصَّابُونِ لِلدَّسَمِ . فَأَمَرَهُ عَمَّهُ بِإِحْضَارِ قَلِيلٍ
مِنَ الزَّيْتِ ؛ فَلَمَّا أَحْضَرَهُ ، طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَدْهِنَ يَدَيْهِ بِهِ
فَفَعَلَ . فَأَمَرَهُ أَنْ يَدْلِكَ يَدَيْهِ بِالصَّابُونِ جَافًا مِنْ غَيْرِ أَنْ
يَسْتَعْمِلَ الْمَاءَ . وَسَأَلَهُ : « أَذْهَبَ هَذَا الدَّلْكُ بِالَدَّسَمِ ؟ »
فَقَالَ : « لَا » . فَسَأَلَهُ : « إِذَا أَرَدْتَ إِزَالَتَهُ فَمَاذَا تَفْعَلُ ؟ »
قَالَ : « أَسْتَحْدِمُ الْمَاءَ » . فَقَالَ عَمَّهُ : « نَعَمْ لَا بُدَّ مِنْ أَسْتِخْدَامِ
الْمَاءِ ، لِأَنَّ الصَّابُونَ — زِيَادَةً عَلَى أَنَّهُ يُنْحَلُّ فِي الْمَاءِ —
يُصِيرُ الدَّسَمَ قَابِلًا لِلِانْحِلَالِ فِيهِ ، وَالِاخْتِلَاطِ بِهِ . فَهُوَ
يَنْتَقِلُ مِنَ الْيَدِ إِلَى الصَّابُونِ فِي الرِّغْوَةِ الَّتِي تَرَاهَا أَوَّلًا
نَظِيفَةً ، ثُمَّ تَتَسَخُّ بِدَلْكِ الْيَدَيْنِ الْوَاحِدَةِ بِالْأُخْرَى ، وَهَذِهِ
الرِّغْوَةُ الْوَسِخَةُ تَزُولُ بِالْمَاءِ فَتَنْظَفُ الْيَدُ . وَقَدْ يُعَوِّضُ
مِنَ الزَّيْتِ الشَّحْمُ أَوْ الدُّهْنُ مَعَ إِمَاعَتِهِ ، وَإِضَافَةُ ذَوْبِ
الصُّودَا إِلَيْهِ وَهُوَ يَنْغَلِي ، ثُمَّ يُعْمَلُ الصَّابُونُ مِنْهُ ، بِالطَّرِيقَةِ
الَّتِي ذَكَرْتُمُهَا لَكَ . وَأَعْلَمُ أَنَّ أَجْوَدَ الصَّابُونِ مَا كَانَتْ كَمِّيَّةُ

الْمَاءِ فِيهِ قَلِيلَةٌ ، وَلِذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يُشْتَرَى الصَّابُونُ صُلْبًا
جَافًا . وَلَمَّا كَانَ مِنَ الْمُحَقَّقِ أَنَّ الصَّابُونَ يَنْحَلُّ فِي الْمَاءِ ،
وَجَبَّ إِذَا أَلَا يُتْرَكَ فِيهِ بَعْدَ اسْتِعْمَالِهِ .

وَيُصْنَعُ الصَّابُونُ فِي مُجْمَلَةٍ مُدُنٍ فِي الْقَطْرِ الْمِصْرِيِّ ،
كَالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، وَالزَّقَايِقِ ، وَغَيْرِهِمَا .

٢٨ — الْأَرَانِبُ

يُذْعَرُ أُسْرَابُ طَلِيعَةٌ صَفَقٌ تَقْفَرُ
مَسْكَنَةٌ الْخَلْفِيَّتَانِ ابْنُ آوَى ابْنُ عَرَمٍ



زَيْنَبُ - مَا أَجَلْ هَذَا الْأَرْنَبُ !

عَائِشَةُ - أَرَاهُ يَقْرُبُ مِنْكَ يَا زَيْنَبُ كَأَنَّهُ يَعْرِفُكَ ، فَإِنِّي

أَعْلَمُ أَنَّ الْأَرْنَبَ لَا يَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ النَّاسِ ،

وَهُوَ شَدِيدُ الْجُبْنِ يُذْعَرُ مِنْ أَقَلِّ حَرَكَةٍ .

زَيْنَبُ - نَعَمْ ، هُوَ يَعْرِفُنِي ، وَكَثِيرًا مَا يَأْكُلُ الْبُرْسِيمَ

وَالْحَشِيشَ مِنْ يَدِي . وَإِذَا وَقَفَتْ سَاكِتَةً ،

رَأَيْتِ عَشْرَاتٍ مِنَ الْأَرَانِبِ ، تَخْرُجُ مِنَ الْحَجَرَةِ

الْمُجَاوِرَةِ لَنَا .

عَائِشَةُ - لِنَسُكُتْ إِذَا ، حَتَّى نَرَى عَدَدًا كَبِيرًا مِنْهَا .

وَالْأَحْسَنُ أَنْ نَقِفَ عَلَى بُعْدٍ لِكَيْلَا تُذْعَرَ مِنَّا .

زَيْنَبُ - هَاهِيَ ذِي تَخْرُجُ أَسْرَابًا ، فَكَأَنَّهَا كَانَتْ تُرْسِلُ

الْأَرْنَبَ الْأَوَّلَ طَلِيعَةً لَهَا .

عَائِشَةُ - صَفِّ يَا زَيْنَبُ ، لِنَنْظُرِيهَا تَجْرِي إِلَى حُجْرَتِهَا

مَذْعُورَةً .

زَيْنَبُ - مَا أَجْمَلَ جَرِيهَا ! هَلْ تَرَيْنَ يَا عَائِشَةُ كَيْفَ تَقْفِرُ
 مُسَكِّنَةً عَلَى أَرْجُلِهَا الْخُلْفِيَّةَ ، وَتَتَبُّ وَثَبَاتٍ وَاسِعَةً ؟
 عَائِشَةُ - نَعَمْ ، وَأَعْلَمُ أَنَّ رِجْلِي الْأَرْنَبِ الْخُلْفِيَّتَيْنِ طَوِيلَتَانِ ،
 وَذَلِكَ لِيُمْكِنَهُ الْجُرْيُ بِسُرْعَةٍ قَفْزًا ، لِيَهْرُبَ مِنْ
 ابْنِ آوَى ، وَالثَّعْلَبِ ، وَابْنِ عَرَسٍ ، وَغَيْرِهَا مِنْ
 الْوُحُوشِ الَّتِي تَصِيدُهُ .

٢٩ - حِيلَةُ الْعَنْكَبُوتِ

حَافَةٌ	يُلَاحِظُ	مَنْفَذٌ
خَابَ	لُعَابٌ	أَيَقَنَ

أَخَذَ رَجُلٌ عَصًا وَغَرَزَهَا فِي بَرَكَةِ مَاءٍ بِالْقُرْبِ مِنْ
 حَافَتِهَا ، ثُمَّ أَخَذَ عَنْكَبُوتًا وَوَضَعَهَا عَلَى طَرَفِ الْعَصَا ،
 وَوَقَفَ يُلَاحِظُ مَا تَأْتِي بِهِ الْعَنْكَبُوتُ مِنَ الْحِيلَةِ لِلْخُرُوجِ
 مِنْ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ .

فَزَلَّتْ مِنْ أَعْلَى الْعَصَا يَبْطُءُ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى الْمَاءِ ،
 فَرَأَتْ أَنَّ الطَّرِيقَ مَسْدُودَةٌ ، فَجَعَلَتْ تَدُورُ حَوْلَ الْعَصَا
 أَمَلًا فِي أَنْ تَجِدَ مَنَفَذًا . وَلَمَّا خَابَ سَعْيُهَا عَادَتْ إِلَى أَعْلَى
 الْعَصَا ، وَلَبِثَتْ بُرْهَةً مِنْ غَيْرِ أَنْ تَتَحَرَّكَ ، كَأَنَّهَُا تَفَكَّرُ
 فِي تَدْيِيرِ حِيلَةٍ تُخَلِّصُهَا مِنْ سِجْنِهَا .

وَأَخِيرًا أُخْرِجَتْ مِنْ جَوْفِهَا خَيْطًا طَوِيلًا أُلْصَقَتْ أَحَدَ
 طَرَفَيْهِ بِأَعْلَى الْعَصَا ، وَأُرْسِلَتْ الثَّانِي يَطِيرُ فِي الْهَوَاءِ ،
 وَهِيَ تَرْقُبُ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِهِ ، إِلَى أَنْ وَقَعَ عَلَى شَجَرَةٍ
 صَغِيرَةٍ عَلَى حَافَةِ الْبَرَكَةِ وَلَصِقَ بِهَا ، فَعَبَرَتْ الْقَنْطَرَةَ الَّتِي
 صَنَعَتْهَا ، وَوَصَلَتْ إِلَى الْبَرِّ سَالِمَةً مَسْرُورَةً .

وَلَمَّا شَاهَدَ الرَّجُلُ ذَلِكَ ، أَتَقَنَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ حَيَوَانًا
 مَهْمَا كَانَ صَغِيرًا ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَجْعَلَ فِيهِ مَا يَسْتَطِيعُ بِهِ
 أَنْ يُدَبِّرَ أُمُورَهُ بِنَفْسِهِ .

۳۰۔ الْمَاءِ

اَكْوَامٌ مُسْتَوٍ مُسْتَدِيرَةٌ
الْوَعَاءُ مَوَائِلُ

ذَهَبَ مُحَمَّدٌ وَمُحَمَّدٌ إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ، وَقَعَدَا يَتَبَارَيَانِ
فِي عَمَلِ اَكْوَامٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الرَّمْلِ . فَحَضَرَ أَبُوهُمَا وَشَاهَدَ
مَا يَعْمَلَانِ . فَطَلَبَ مِنْهُمَا أَنْ يَعْمَلَا اَكْوَامًا مِنَ الْمَاءِ
بَدَلًا مِنَ الرَّمْلِ ، وَدَلَّهُمَا عَلَى ثَقَرَتَيْنِ مَمْلُوءَتَيْنِ بِالْمَاءِ ،
وَوَقَفَ يَرْقُبُهُمَا . فَحَاوَلَ كُلُّهُمَا أَنْ يَجْعَلَ الْمَاءِ كَوْمَةً
فَلَمْ يُفْلِحْ . فَنَظَرَ مُحَمَّدٌ إِلَى أَبِيهِ وَقَالَ : « يَا أَبَتِ لَا أَقْدِرُ
أَنْ أَجْعَلَ مِنَ الْمَاءِ كَوْمَةً ، لِأَنِّي كُلَّمَا أَخَذْتُ حَفْنَةً وَوَضَعْتُهَا
فَوْقَ الْمَاءِ نَزَلَتْ إِلَى الْجَوَانِبِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُمَسِكَ الْمَاءُ
بَعْضُهُ بَعْضًا كَمَا يَحْصُلُ فِي الرَّمْلِ » . فَقَالَ الْأَبُ : « نَعَمْ
هَذَا صَحِيحٌ ، لِأَنَّ الْمَاءَ يَسِيلُ دَائِمًا إِلَى أَسْفَلٍ لِيَكُونَ سَطْحُهُ
أَفْقِيًا » ، وَوَجَّهَ نَظْرَهُمَا إِلَى سَطْحِ الْبَحْرِ .

وَبَعْدَ ذَلِكَ حَفَرَ أَبُوهُمَا نُقْرَةً مُسْتَدِيرَةً ، ثُمَّ أُخْرَى
 مَرَبَعَةً ، وَثَالِثَةً مُثَلَّثَةً ، وَرَابِعَةً مُسْتَطِيلَةً ، وَكَانَ يَأْخُذُ
 الْمَاءَ بِكَفَيْهِ وَيَضَعُهُ فِي كُلِّ نُقْرَةٍ وَيَسْأَلُهُمَا عَنْ شَكْلِهِ .
 وَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْأَخِيرَةِ قَالَ مُحَمَّدٌ : « شَكْلُ الْمَاءِ يَا أَبَتِ
 يُشْبِهُ شَكْلَ الْوَعَاءِ الَّذِي يَحْوِيهِ » . فَقَالَ الْوَالِدُ : « نَعَمْ
 أَصَبْتَ يَا مُحَمَّدُ . وَمَا الَّذِي تَعْرِفُهُ مِمَّا فِي الْمَنْزِلِ يُشْبِهُ
 الْمَاءَ » ؟ فَقَالَ : « الْخَلُّ وَالزَّيْتُ ، وَشَرَابُ الشَّايِ وَالْقَهْوَةُ
 وَاللَّبَنُ » . فَقَالَ الْآبُ : « هَذِهِ كُلُّهَا أَسْمَاءُ سَوَائِلُ » .
 ثُمَّ قَامُوا بَعْدَ ذَلِكَ وَعَادُوا إِلَى الْمَنْزِلِ .

۳۱ — الْغُرَابُ وَالْجَرَّةُ

جَرَّةٌ غَوْرٌ جَوْفٌ وَصَحَّ
 عَطِشَ غُرَابٌ وَأَرَادَ الشُّرْبَ ، وَطَفِقَ يَبْحَثُ عَنْ مَاءٍ
 فِي كُلِّ مَا جَاوَرَهُ مِنَ الْجِهَاتِ . فَخَابَ سَعْيُهُ وَلَمْ يَجِدْ إِلَّا
 جَرَّةً فِي قَعْرِهَا قَلِيلٌ مِنَ الْمَاءِ ، لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ



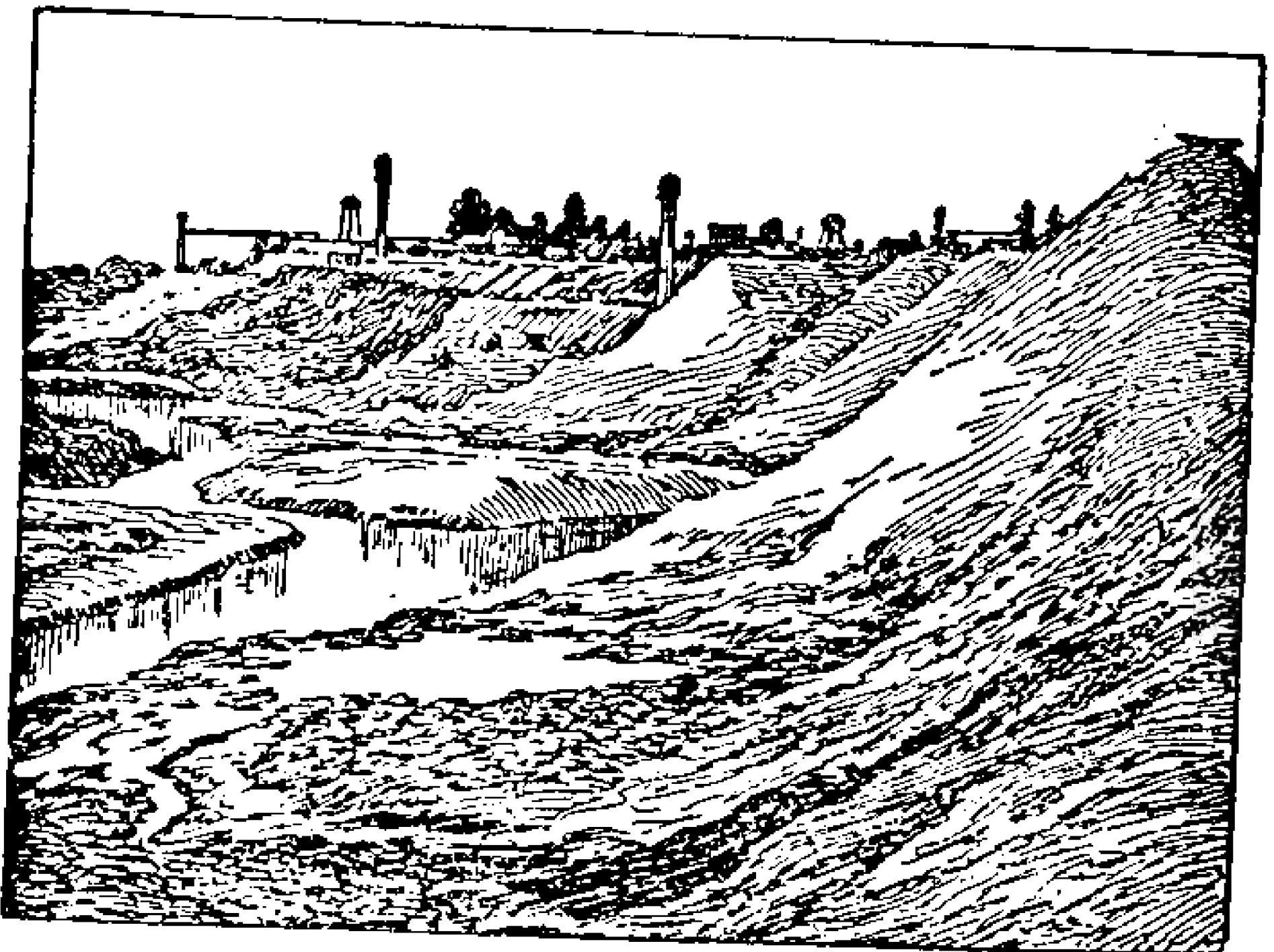
لِبُعْدِ غَوْرِهَا وَلِطُولِ عُنُقِهَا . وَلَكِنَّ الْعَطَشَ أَشَدَّ بِهِ ،
فَأَعْمَلَ فِكْرَهُ فِي تَدْيِيرِ حِيلَةٍ يَرْفَعُ بِهَا الْمَاءَ إِلَيْهِ ، مَا دَامَ
هُوَ غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى الْوُصُولِ إِلَى الْمَاءِ ، وَصَمَّمَ عَلَى أَلَّا يَتْرُكَ
الْمَكَانَ ، حَتَّى يَشْرَبَ مِنْ تِلْكَ الْجُرَّةِ . وَقَالَ فِي نَفْسِهِ :
« إِذَا صَدَقَ الْعَزْمُ وَضَحَ السَّبِيلُ » .

عِنْدَ ذَلِكَ اتَّفَتَ حَوْلَهُ ، فَرَأَى حِجَارَةً صَغِيرَةً كَثِيرَةً ،
فَذَهَبَ إِلَيْهَا وَأَخَذَ وَاحِدًا بِمِنْقَارِهِ ، وَرَمَاهُ فِي الْجُرَّةِ ،
فَارْتَفَعَ الْمَاءُ قَلِيلًا . فَعَادَ وَجَاءَ بِغَيْرِهِ . فَزَادَ ارْتِفَاعُ الْمَاءِ .

فَأَذْرَكَ أَنَّهُ إِذَا أَسْتَمَرَ عَلَى عَمَلِهِ هَذَا وَدَابَّ عَلَيْهِ ، بَلَغَ غَايَتَهُ
وَأُطْفِئَ حَرَارَةُ عَطَشِهِ . فَلَبِثَ يَنْقُلُ الْحِجَارَةَ وَيَرْمِيهَا فِي
جَوْفِ الْجُرَّةِ ، وَالْمَاءُ يَرْتَفِعُ فِيهَا قَلِيلًا قَلِيلًا ، حَتَّى أَمْكَنَهُ
أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ أَخِيرًا ، فَشَرِبَ حَتَّى رَوَى بَعْدَ صَبْرِهِ وَجِدِّهِ .
وَكَذَلِكَ : « كُلُّ مَنْ جَدَّ وَجَدَّ » .

٣٢ - الذَّهَبُ

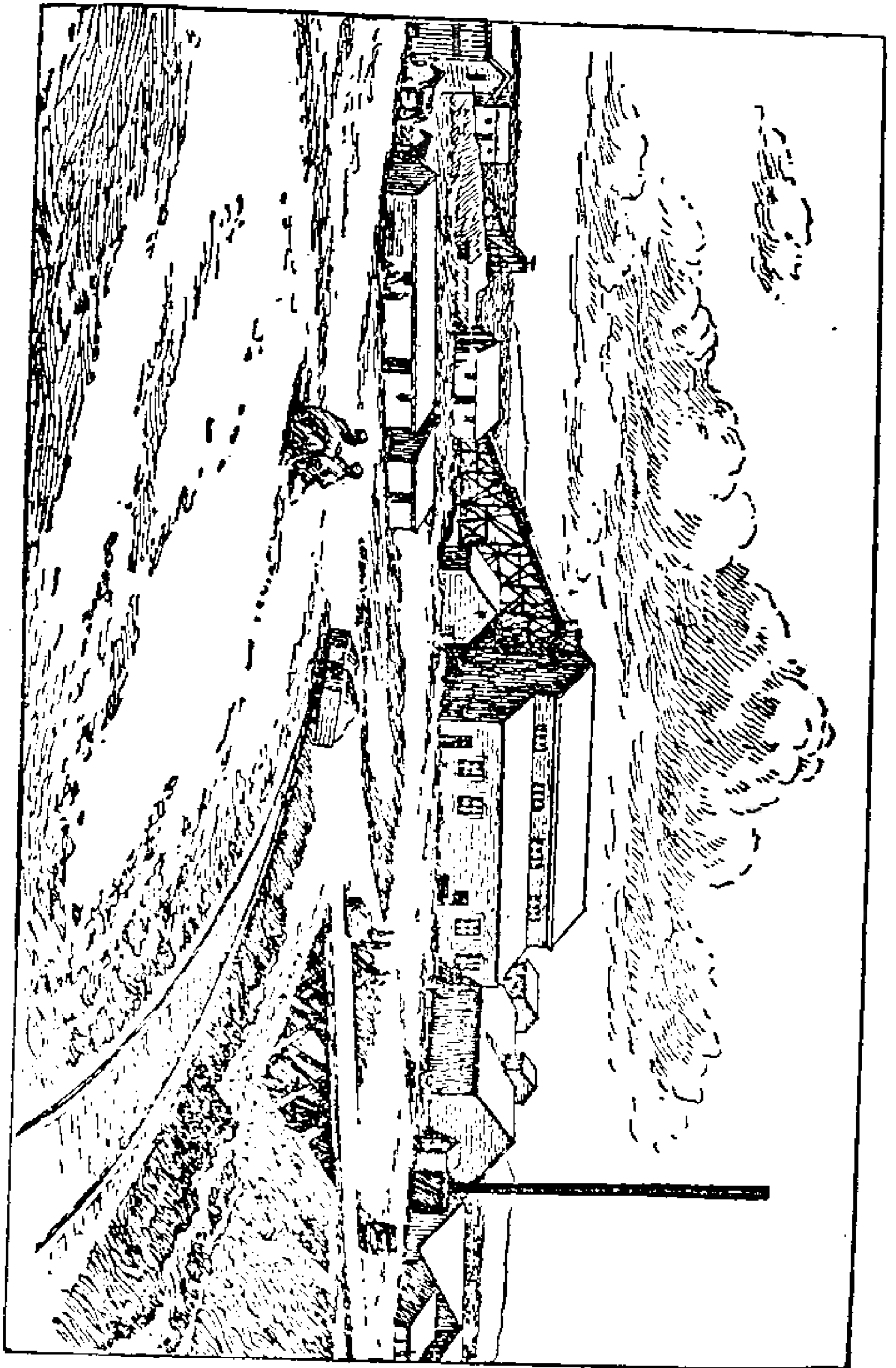
أَسُورَةٌ	مَعَاصِمُ	أَقْرَاطُ	أَلْحَى	دَقِيقَةٌ
أَغْوَى	النَّفِيسُ	بَرِيقُ	سُلَامَى	مُحْسُورٌ



يَحْمِلُ النِّسَاءُ إِلَى الزَّيْنَةِ ، فَتَتَّخِذْنَ مِنَ الذَّهَبِ أَسْوِرَةً
يَلْبَسْنَهَا فِي مَعَاصِمِهِنَّ ، وَأَقْرَاطًا يُعَلِّقْنَهَا بِأَذَانِهِنَّ . وَهَذِهِ
الْحُلَى غَالِيَةُ الثَّمَنِ ، لَا يُحْصَلُّهَا إِلَّا الْغَنِيَّاتُ مِنْهُنَّ ، لِأَنَّ
الذَّهَبَ مَعْدِنٌ قَلِيلُ الْوُجُودِ ، يَسْتَخْرِجُهُ النَّاسُ مِنْ جَوْفِ
الْأَرْضِ بِكَيْدٍ وَتَعَبٍ ، وَيَسْتَعْمِلُونَ فِي ذَلِكَ آلَاتٍ دَقِيقَةَ
الصَّنْعِ كَبِيرَةِ الْقِيَمَةِ .

وَقَدْ وَجَدَ هَذَا الْمَعْدِنُ ، فِي جِهَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ فِي أَمْرِيْقَا
وَإِفْرِيقِيَّةَ ، وَأُسْتْرَالِيَا . وَكُلَّمَا عَلِمَ النَّاسُ بِظُهُورِ مَعْدِنِهِ
فِي مَكَانٍ ، سَارَعُوا إِلَيْهِ جَمَاعَاتٍ وَوَحْدَانًا ، تَارِكِينَ
أَوْلَادَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ طَمَعًا فِي الْمَالِ . فَمِنْهُمْ
مَنْ يَبْلُغُ قَصْدَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرْتَدُّ خَائِبًا مُحْشُورًا .

أَعْوَى هَذَا الْمَعْدِنُ النَّفِيسُ جَمِيعِ النَّاسِ ، لِصَفَاءِ لَوْنِهِ
الْأَصْفَرَ وَحُسْنِ بَرِيقِهِ ، فَإِنَّهُ لَا يَصْدَأُ . وَهُوَ أَصْلَبُ مِنَ
الْحَدِيدِ ، وَأَلْيَنُ مِنْهُ فِي التَّطْرِيقِ وَالتَّمْدِيدِ ، بِحَيْثُ أُمْسَكَنَا



تَطْرِيقُهُ إِلَى صَفَائِحِ رَقِيقَةٍ جَدًّا ، إِذَا وُضِعَ خَمْسَةُ عَشَرَ أَلْفًا مِنْهَا بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ لَمْ يَزِدْ سَمَكُهَا جَمِيعًا عَلَى طُولِ سُلَامَى أَصْبُعٍ . وَكَذَلِكَ تَعْمَلُ مِنْهُ أَسْلَاكُ أَدَقِّ مِنَ الشَّعْرِ . وَالنَّارُ الشَّدِيدَةُ لَا تُذِيبُهُ إِلَّا بِصَعْوِيَّةٍ ، وَمَتَى بَرُدَ عَادَ إِلَى صَلَابَتِهِ الْأُولَى .

٣٣ - أَلْفَلَّاحُ وَاللِّفْتُ

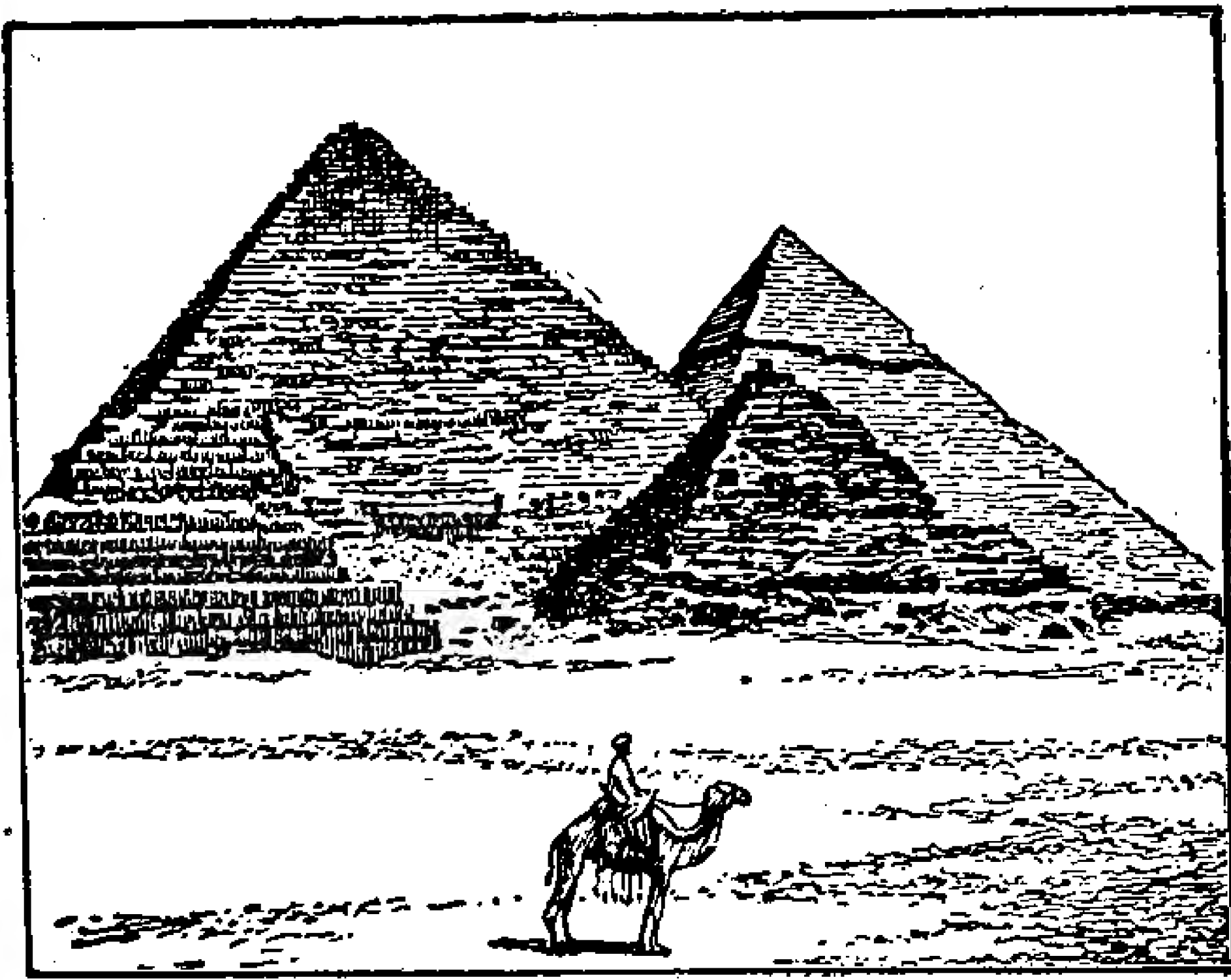
يَعْمَلُ	الْقَرْيَةُ	تَشْجِيعُ	جَشَعُ
يُجْزَلُ	أَلَحَّ	أَنْفَقَ	الْأَثَرَةُ

كَانَ لِفَلَّاحٍ فَقِيرٌ حَقْلٌ صَغِيرٌ يَزْرَعُ فِيهِ أَلْفَتَ . وَكَانَ ذَلِكَ أَلْفَلَّاحٌ مُجْتَهِدًا لَا يَعْمَلُ مِنَ الْعَمَلِ فِي خِدْمَةِ أَرْضِهِ ، حَتَّى أَتَى زَرْعُهُ بِحَاصِلٍ جَيِّدٍ يُنَاسِبُ عَمَلَهُ ، وَوَجَدَ مِنْ يَمِينِهِ لِفْتَةً كَبِيرَةً لَمْ يَرِ مِثْلَهَا مِنْ قَبْلُ ، فَفَكَّرَ فِي أَنْ يُهْدِيَهَا لِحَاكِمِ الْقَرْيَةِ . فَلَمَّا قَدَّمَهَا إِلَيْهِ قَبِلَهَا مَسْرُورًا مِنْ أَجْلِ تَجَاهِدِهِ ، وَكَافَأَهُ بِجُنَيْهَيْنِ تَشْجِيعًا لَهُ عَلَى الْعَمَلِ .

فَسَمِعَ بِذَلِكَ فَلَاحُ غَنِيٌّ جَشِعٌ ، فِي الْقَرْيَةِ نَفْسِيهَا ،
تَحْسَدُ الْفَقِيرَ عَلَى مَا نَالَهُ مِنَ الْعَطَاءِ ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ :
« إِذَا قَدَّمْتُ إِلَى الْحَاكِمِ أَحْسَنَ نِعَاجِي ، فَلَا بُدَّ أَنْ يُجْزَلَ
لِي الْعَطَاءُ عَلَيْهَا ، فَأَرْبَحَ أَكْثَرَ مِنْ ثَمَنِهَا أَضْعَافًا . »
فَجَاءَ بِهَا إِلَى الْحَاكِمِ ، وَرَجَا مِنْهُ أَنْ يَقْبَلَ الْهَدِيَّةَ .
فَأَبَى الْحَاكِمُ ، لِمَا يَعْلَمُ فِي الرَّجُلِ مِنَ الْأَثَرَةِ وَالطَّمَعِ .
فَالَحَّ عَلَيْهِ الرَّجُلُ ، وَرَجَا مِنْهُ أَنْ يَقْبَلَهَا . فَقَالَ الْحَاكِمُ :
« مَا دُمْتُ تُبْلِغُ عَلَى بَقْبُولِ هَدِيَّتِكَ ، فَأَنَا أَقْبِلُهَا ، عَلَى
أَنْ أُعْطِيكَ شَيْئًا أَنْفَقْتُ فِيهِ ضِعْفَ ثَمَنِ نَعْجَتِكَ » .
فَأَبْرَقَتْ عَيْنَا الرَّجُلِ فَرَحًا بِهَذَا الْكَلَامِ اللَّطِيفِ ، وَظَنَّ
أَنَّ الْهَدِيَّةَ تُعَوِّضُهُ أَكْثَرَ مِمَّا أَنْفَقَ .
ثُمَّ أَهْدَاهُ الْحَاكِمُ اللَّفْتَةَ ، فَأَنْقَلَبَ فَرَحُهُ تَرَحُّمًا ،
وَأَخَذَهَا وَأَنْصَرَفَ بِأَدِيمَا عَلَى خَسَارَةِ نَعْجَتِهِ .

٣٤ - الأهرام

قَامِضٌ الْعَدِيدَةُ آيَةٌ إِتْقَانٌ الْأَبْنِيَّةُ
مُبْنِي مُحَصَّنٌ أَمْلَسُ إِقَامَةٌ يَعْتَقِدُ



كَانَ الْمِصْرِيُّونَ الْقُدَمَاءُ أَمَّهَرُ أَهْلِ الْأَرْضِ فِي
صِنَاعَاتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ ، حَتَّى إِنَّ كَثِيرًا مِنْهَا لَا تَزَالُ طَرِيقَةً
تَعْمَلُ سِرًّا غَامِضًا إِلَى الْآنَ . وَمِنْ ذَلِكَ الْأَهْرَامُ الْكَثِيرَةُ ،

الَّتِي بَنَوْهَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْجِهَاتِ ، فَإِنَّهَا آيَةٌ فِي إِثْقَانِ
الصَّنْعَةِ وَفِي الضَّخَامَةِ

وَأَهَمُّ هَذِهِ الْأَبْنِيَةِ أَهْرَامُ الْجِيزَةِ الثَّلَاثَةُ الْعِظَامُ : بَنَى
أَكْبَرَهَا الْمَلِكُ خُوفُو ، مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسَةِ آلَافِ سَنَةٍ ،
وَهُوَ هُوَ لَمْ يُبْلِهْ مَرُورُ هَذِهِ آلَافٍ مِنَ السِّنِينَ . وَكَانَ
مُجَصَّصًا وَمَطْلِيًّا بِدِهَانٍ أَمْلَسَ ، مَنْقُوشٍ عَلَيْهِ صُورٌ
وَكِتَابَاتٌ مِنْ كِتَابَتِهِمُ الرَّسْمِيَّةِ .

وَالسَّبَبُ فِي إِقَامَةِ هَذِهِ الْأَهْرَامِ الْعَظِيمَةِ ، أَنَّهُمْ كَانُوا
يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْأَرْوَاحَ تَعُودُ إِلَى أَجْسَامِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ،
فَكَانُوا يَحْفَظُونَ الْأَجْسَامَ بِمَهَارَةٍ عَظِيمَةٍ ، وَيَضَعُونَهَا فِي
هَذِهِ الْأَمَاكِنِ ، حَتَّى إِذَا قَامَتِ الْقِيَامَةُ وَجَدَتْ كُلُّ
رُوحٍ جِسْمَهَا بَاقِيًا ، فَتَدْخُلُهُ لِتُعِيدَ إِلَيْهِ الْحَيَاةَ . . .

وَالْأَخْبَارُ الَّتِي بُنِيَتْ مِنْهَا هَذِهِ الْأَهْرَامُ كَبِيرَةٌ
الْحُجْمِ ، عَظِيمَةُ الثَّقَلِ ، لَا يَسْتَطِيعُ عَشْرَةُ رِجَالٍ تَحْمِلَ الْوَاحِدِ

مِنْ . وَكَأَنَّهُ يُخْتَصِمُونَ مِنْ جِبَالِ الْمُقَطَّمِ . وَنُشِثُوا
 حُدُودَ مِنْ زَمَانٍ فِي جَبَلٍ وَمَكَانٍ نَبْتٍ . وَزُرُقُونَهَا عَلَيْهِ
 ثُمَّ يَرْفَعُونَهَا بِرُوحِ كَيْفٍ . وَيُنْشِثُونَهَا فِي مَوَاضِعِهَا .
 وَفِي هَرَمٍ أُجِيزَةٍ الْأَكْبَرِ جُمْلَةٌ غُرَفٍ ، بَعْضُهَا صَغِيرٌ
 وَبَعْضُهَا كَبِيرٌ . وَفِي وَسْطِهِ بَيْتٌ عَمِيقَةٌ ، يُقَالُ إِنَّهُمْ كَانُوا
 يَتَّخِذُونَهَا مَرْوَةً . يَعْرِفُونَ بِهَا الزَّمَانَ .

٣٥ - جَمَاعَةُ الْفِيرَانِ

يَقُودُ	الضَّرِيرُ	الْأَعْجَمُ
يَعَاوُنُ	الْمَعُونَةُ	يُمْسِي

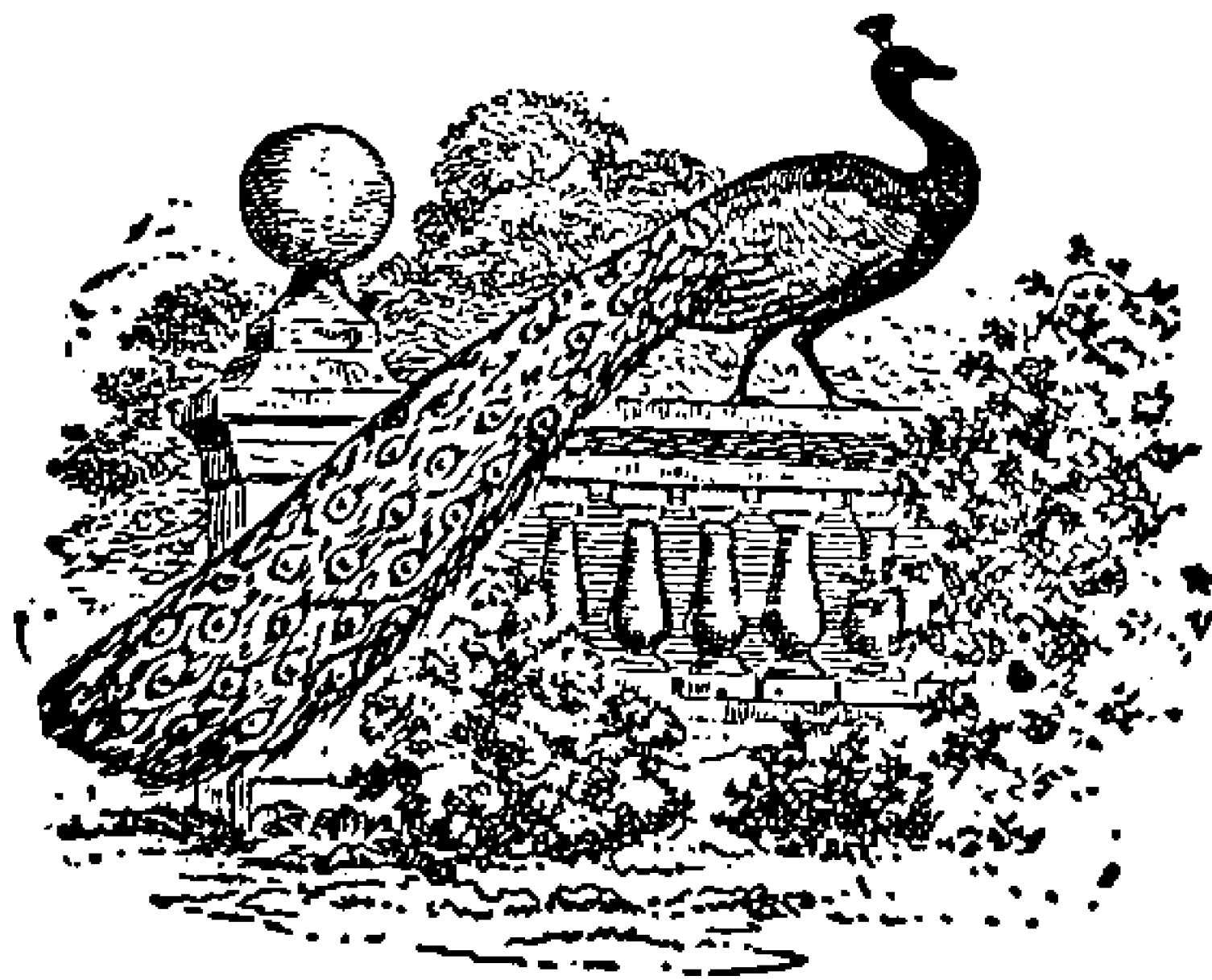
كَانَ رَجُلٌ مَاشِيًا فِي حَقْلِ فِي لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ ، يُتَمَتِّعُ نَفْسَهُ
 بِجَمَالِ الطَّبِيعَةِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الْهَادِيءِ ، الَّذِي أَمْتَرَجَ
 فِيهِ بَيَاضُ ضَوْءِ الْقَمَرِ بِخُضْرَةِ الزَّرْعِ . فَرَأَى جَمَاعَةً
 مِنَ الْفِيرَانِ سَائِرَةً فِي طَرِيقٍ وَاحِدَةٍ ، فَتَعَجَّبَ مِنْ هَذِهِ

الْمَنْظَرِ النَّادِرِ الْمِثَالِ ، وَوَقَفَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا مِنْ بُعْدٍ : فَشَاهَدَ
فِي وَسْطِ الْجُمُعِ ، فَأَرَةً كَبِيرَةً عَمِيَاءَ ، قَابِضَةً عَلَى طَرَفِ
عُودِ يَابِسٍ بِأَسْنَانِهَا ، وَبِجَانِبِهَا فَأَرَةً أُخْرَى صَغِيرَةً ،
لَهَا عَيْنَانِ بَرَّاقَتَانِ ، وَقَدْ أُمْسَكَتِ الْعُودَ مِنْ طَرَفِهِ
الثَّانِي ، لِتَقُودَ تِلْكَ الْفَأْرَةَ الْعَجُوزَ الضَّرِيرَةَ ، إِلَى حَيْثُ
يَتَوَجَّهَ الْجُمُعُ .

فَانْظُرْ كَيْفَ أَلْهَمَ اللَّهُ ذَلِكَ الْحَيَوَانَ الْأَعْجَمَ ، وَعَلَّمَهُ
أَنْ يُعَاوَنَ الْقَوِيَّ مِنْهُ الضَّعِيفَ . وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ يَقْعُدُ
الْإِنْسَانُ الْعَاقِلُ ، عَنْ مَدِّ يَدِ الْمَعُونَةِ وَالْمُسَاعَدَةِ ، إِلَى
ذَوِي الْحَاجَةِ مِنْ بَنِي جَنْسِهِ ؟ كَلَّا ! فَإِنَّ قَوِيَّ الْيَوْمِ ، لَا بُدَّ
أَنْ يُنْسِيَ ضَعِيفًا غَدًا . وَمَتَى عَاوَنَ الْمَرْءُ الْقَوِيُّ أَخَاهُ
الضَّعِيفَ ، وَجَدَ مُعِينًا إِذَا نَزَلَ بِهِ الضُّعْفُ . وَاللَّهُ فِي عَوْنِ
الْعَبْدِ ، مَا دَامَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ .

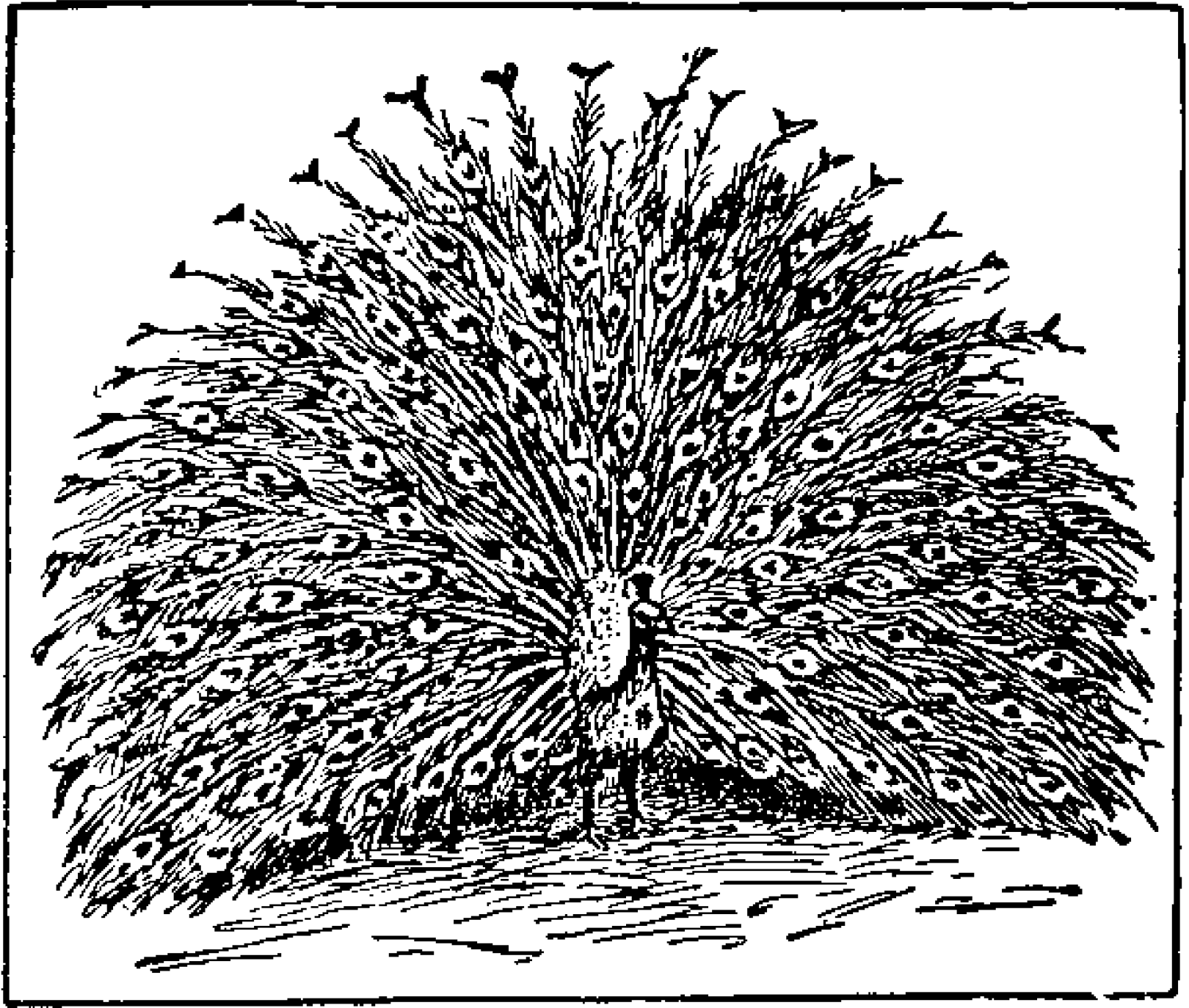
٣٦ - الطَّائِوسُ

إِخْتَالَ آلَاسُ يَفْتِنُ تَصَدَّى
جُلَّاسُ الْمَنْطِقُ غَافِلُ



قَدْ أَظْهَرَ الطَّائِوسُ إِعْجَابَهُ ،
وَإِخْتَالَ بَيْنَ الْوَرْدِ وَالْآسِ ،
يَفْتِنُ النَّاطِرَ فِي شَكْلِهِ ،
بِحُسْنِ رِيشِ الذَّيْلِ وَالرَّاسِ

لَكِنَّ عُصْفُورًا تَصَدَّى لَهُ
بِالذَّمِّ فِي صَحْبٍ وَجُلَّاسٍ ،
وَعَابَ مِنْهُ السَّاقَ فِي عُرْيَهَا ،
عَنْ ثَوْبٍ رِيشٍ نَاعِمٍ كَاسِيٍّ .



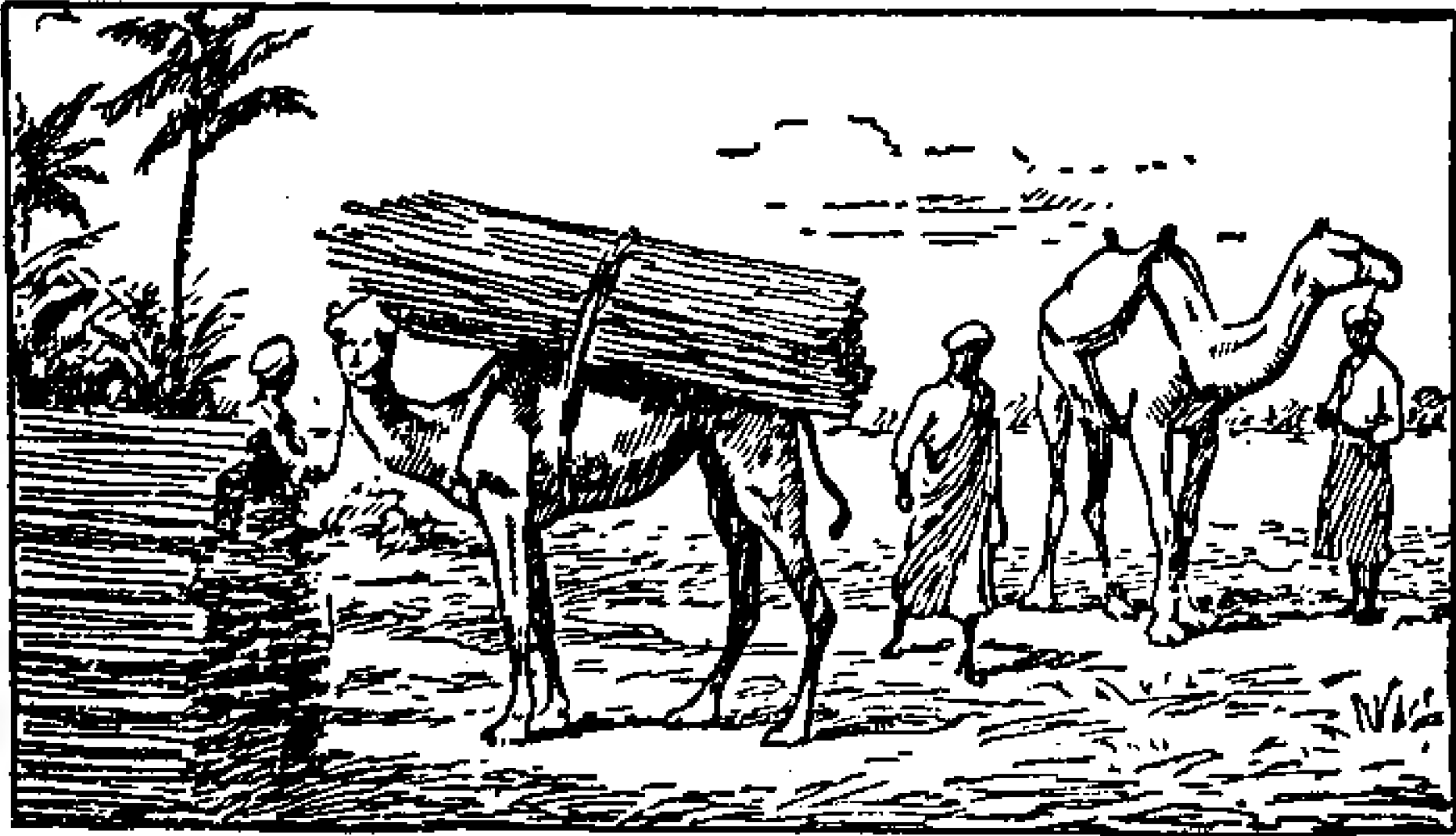
فَقَامَ مِنْ حَوْلِهِمَا طَائِرٌ ،
يَرْمِيهِمَا بِالْمَنْطِقِ الْقَاسِيِ
فَقَالَ كُلُّ مِنْكُمَا مُعْجَبٌ ،
وَعَافِلٌ عَنْ عَيْبِهِ نَاسِيٌ .

لَوْ نَظَرَ النَّاسُ إِلَى غَيْبِهِمْ،

مَا عَبَّ إِنْسَانٌ عَلَى الْبَّاسِ .
(العرب)

٣٧ - قَصَبُ السُّكَّرِ (١)

رَحِيقُ الدَّوَابُّ غَادِيَةٌ
الْحَاضِرَاتُ الْيَافُ قَطَرَاتُ



مِنْ أَوَائِلِ الشَّتَاءِ، يُرَى الْأَطْفَالُ وَالْعَامَّةُ فِي الطَّرِيقِ
سَائِرِينَ، وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَغْوَادَ قَصَبِ السُّكَّرِ، يَمْصُونُ

رَحِيقَهُ اُحْلُو اللَّذِيذَ . وَتَرَى الدَّوَابَّ وَالْعَجَلَاتُ فِي جَمِيعِ
جِهَاتِ الْقَطْرِ ، غَادِيَةً رَائِحَةً ، تَحْمِلُ مَقَادِيرَ عَظِيمَةً
مِنْ هَذَا الْقَصَبِ إِلَى الْمَدَائِنِ وَالْحَاضِرَاتِ . وَأَغْلَبُهُ



يُحْمَلُ مِنَ الْمَزَارِعِ فِي الْوَجْهِ الْقِبْلِيِّ إِلَى سِكَّةِ الْحَدِيدِ ،
لِيُسَفَّرَ إِلَى الْمَعَاصِرِ فَيُصْنَعُ مِنْهُ السُّكَّرُ .
وَالْقَصَبُ أَغْوَادٌ طَوِيلَةٌ تَبْلُغُ ثَلَاثَةَ أَمْتَارٍ وَأَكْثَرَ .

وَيَحْتَوِي الْعُودُ عَلَى عِدَّةٍ قَصَبَاتٍ ، فِي نِهَآيَةِ كُلِّ قَصَبَةٍ
كُغْبٌ يَنْبُتُ فِيهِ بَزْرُهُ . وَحَوْلُهُ وَرَقٌ طَوِيلٌ أَخْضَرُ
خَشِنٌ قَلِيلٌ الْعَرَضِ .

وَفِي جَوْفِ الْعُودِ أَلْيَافٌ بِطُولِ الْقَصَبَةِ ، تُحِيطُ بِهَا
قَطَرَاتٌ مِنَ الرَّحِيقِ الْحُلُوِّ لَا تُحْصَى ، وَيَحُوطُهُ قِشْرٌ مَتِينٌ
أَمْلَسٌ ، لَوْنُهُ أَحْمَرٌ أَوْ أَخْضَرُ أَوْ أَيْضٌ أَوْ مُزَوَّقٌ .

٣٨ - قَصَبُ السُّكَّرِ (٢)

خُلْجَانٌ	يُقْلَعُ	حُذَاقٌ	الْبَقْلُ
عُرْضَةٌ	آفَةٌ	تَنْخَرُ	

يُزْرَعُ الْقَصَبُ فِي أَوَائِلِ الرَّيِّعِ ، فَتُخْرَثُ لَهُ
الْأَرْضُ ، وَتُخَطَّطُ خُطُوطًا مُسْتَقِيمَةً مُتَبَاعِدًا بَعْضُهَا عَنْ
بَعْضٍ . ثُمَّ يُؤْتَى بِالْأَعْوَادِ ، وَتُمَدَّدُ عَلَى الْخُطُوطِ عُودًا
عُودًا وَتُدْفَنُ فِيهَا ، أَوْ تُقَطَّعُ قِطْعًا وَتُفَرَسُ . وَيَنْسَابُ

عَلَيْهَا الْمَاءُ مِنْ خُلْجَانِهِ ، فَيَجْرِي فِي جَدَائِلِهِ وَيَعْمُ
الْخُطُوطَ لِإِرْوَائِهَا .

وَبَعْدَ أُسْبُوعَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ ، يَظْهَرُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ
وَرَقٌ طَوِيلٌ أَخْضَرٌ ، يَأْخُذُ فِي النَّمَاءِ شَيْئًا فَشَيْئًا ، حَتَّى
يَنْشَأَ الْعُودُ وَيَكْبَرُ إِلَى أَنْ يُدْرِكَ ، فَيُقْطَعُ وَيُنْقَلُ إِلَى
الْمَعَاصِرِ لِاسْتِخْرَاجِ السُّكَّرِ مِنْهُ .

وَمِنْ حُذَاقِ الْفَلَاحِينَ ، مَنْ يَزْرَعُ فَوْقَهُ شَيْئًا مِنْ
الْخَضَرِ وَالْبَقْلِ كَالْفَاصُولِيَا وَغَيْرِهَا لِيَنْتَفِعَ بِشَمَنِهِ ، ثُمَّ
يَقْلَعُهُ مِنَ الْأَرْضِ مَتَى بَدَأَ نَبْتُ الْقَصَبِ فِي الظُّهُورِ .
وَالْقَصَبُ فِي زِرَاعَتِهِ عُرْضَةٌ لَآفَةٌ تَفْتِكُ بِهِ ، وَهِيَ
دُودَةٌ تَدْخُلُ إِلَيْهِ مِنْ جُذُورِهِ وَتَنْخُرُ فِيهِ نَخْرًا ، فَتَرَى
الْعُودَ قَائِمًا كَأَنَّهُ سَلِيمٌ ، وَإِذَا جَذَبْتَهُ خَرَجَ فِي يَدِكَ
مِنْ غَيْرِ جُهِدٍ ، وَتَرَاهُ أَجُوفًا كَأَنَّهُ أُنبُوبَةٌ لَا شَيْءَ
فِيهَا . وَيَزْرَعُ الْقَصَبُ فِي صَعِيدِ مِصْرَ ، وَفِي جَزَائِرِ الْهِنْدِ

الشَّرْقِيَّةَ وَالْغَرْبِيَّةَ ، وَكَذَلِكَ فِي أَمْرِيهَا ، لِأَنَّهَا كُلُّهَا
أَمَا كُنْ حَارَّةً لَا يَصْلُحُ إِلَّا فِيهَا .

٣٩ - عَنْ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَاسْأَلْ عَنْ قَرِينِهِ

قَرِينٌ	إِضْرَارٌ	تَمَكَّنَ	تَزَرُّ
وَاِزْرَةٌ	يُدْرِي	ضَبَطَ	يُكِنُّ

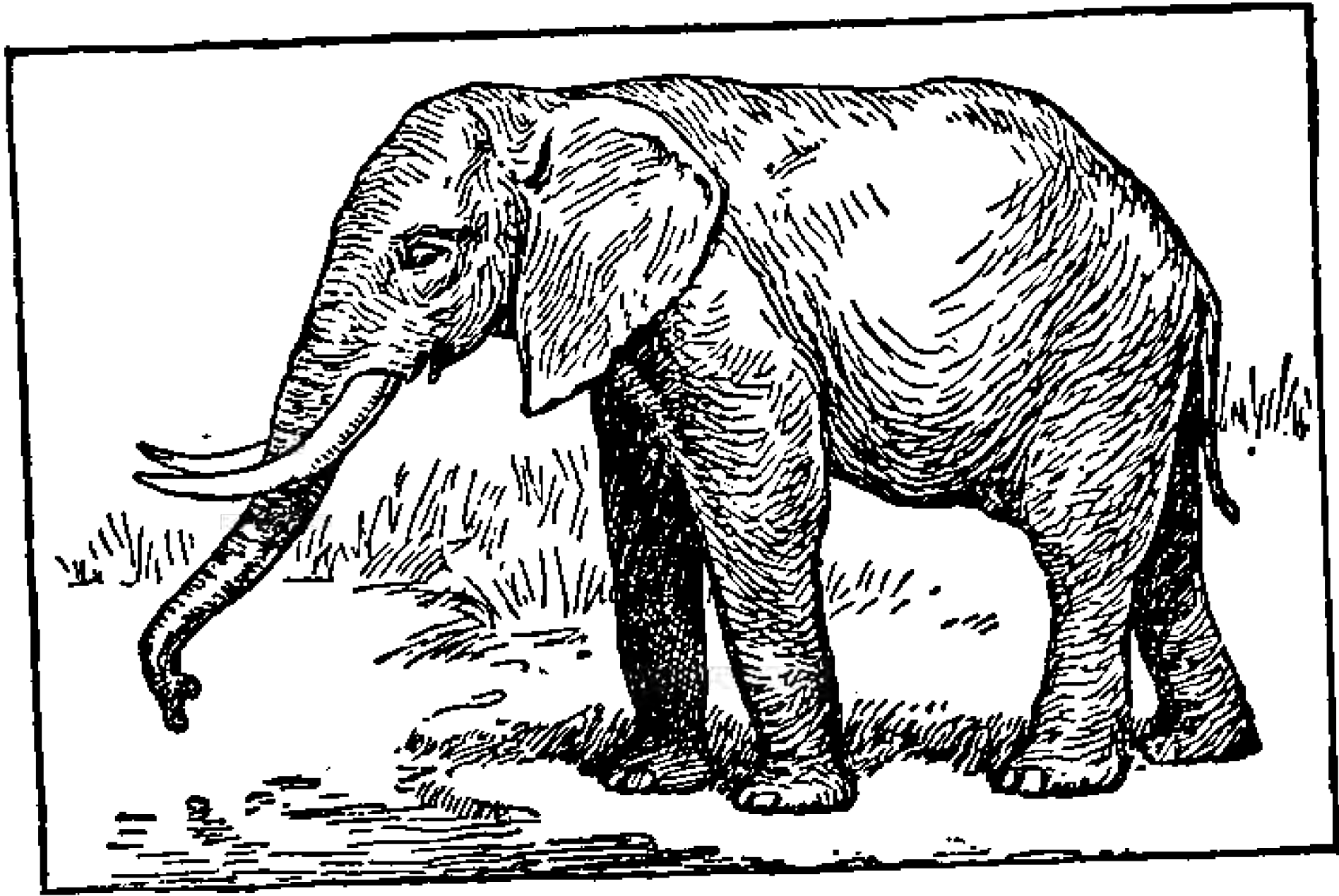
كَانَ زَرَّاعٌ يَرَى الْمَصَافِيرَ تَنْزِلُ فِي حَقْلِ لَهُ ، وَتَأْكُلُ
الْقَمْحَ مِنْ سُنْبُلِهِ مَتَى أُدْرِكَ . وَكَانَ يَنْصِبُ لَهَا مَجْدَارًا
لِيَكُنْ تَخَافَ مَتَى رَأَتْهُ فَتَبْعُدَ عَنِ الزَّرْعِ . وَلَكِنْ ذَلِكَ
لَمْ يَأْتِ بِفَائِدَةٍ ، فَغَضِبَ الرَّجُلُ وَنَصَبَ لَهَا شَرَكًا
لِيَصِيدَهَا وَيَقْتُلَهَا ، جَزَاءً عَلَى إِضْرَارِهَا بِزَرْعِهِ .

فَوَقَعَتْ فِي الشَّرَكِ وَزَّةٌ مَعَ الْمَصَافِيرِ . وَلَمَّا ذَهَبَ
الرَّجُلُ لِيَأْخُذَهَا ، بَكَتِ الْوَزَّةُ بُكَاءً شَدِيدًا ، وَتَوَسَّلَتْ
إِلَيْهِ أَنْ يُطْلِقَهَا ، لِأَنَّهَا لَمْ تُشَارِكْ صَاحِبَاتِهَا الْمَصَافِيرَ فِي

أَكَلَ الْقَمَحَ ، وَلَكِنَّهَا رَافَقَتْهُنَّ لِتَمَكُنَ الصَّدَاقَةَ يَنْبَهَا
وَيَنْبَهُنَّ ، وَلَا ذَنْبَ لَهَا عِنْدَ الزَّرَّاعِ بِأَخْذِهَا بِهِ ، وَلَيْسَ
مِنَ الْعَدْلِ أَنْ يُعَامِلَهَا كَمَا يُعَامِلُ الْعَصَافِيرَ الَّتِي آذَتْهُ ،
وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ : « وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى »
فَقَالَ لَهَا الزَّرَّاعُ : « وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّكَ لَمْ تَأْكُلِي مِنْ
قَمَحِي ، مَعَ رَفِيقَاتِكَ السَّارِقَاتِ النَّاهِبَاتِ ؟ بَلْ بِالْعَكْسِ
أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُصَاحِبُ إِلَّا مَنْ كَانَ مِثْلَهُ فِي
الْعَادَاتِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ . وَلَقَدْ ضَبَطْتُكَ الْآنَ مَعَ
الْأَشْرَارِ فِي أَثْنَاءِ السَّرِقَةِ ، فَحَقَّ عَلَيْكَ عِقَابُهُمْ . وَمَا أَنَا
إِلَّا إِنْسَانٌ كَسَائِرِ النَّاسِ ، لَا أَعْلَمُ مَا تُكِنُّ الْأَنْفُسُ ،
وَمَا أُسْتَرَّ فِي الْقُلُوبِ .

٤٠ — الْفِيلُ

الْفِيَاضُ يَعْْبُ يَقْتَلِعُ



الْفِيلُ حَيَوَانٌ مِنْ ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ ، وَهُوَ أَكْثَرُ
حَيَوَانَاتِ الْأَرْضِ جُثَّةً ، وَأَشَدُّهَا بَأْسًا . وَمَوْطِنُهُ الْأَقَالِيمُ
الْحَارَّةُ مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ وَآسِيَا ، وَيَكْثُرُ فِي جَزِيرَةِ سِيلَانَ
مِنْ أَعْمَالِ الْهِنْدِ ، وَيَسْكُنُ الْأَجَامَ وَالْفِيَاضَ . وَهُوَ شَدِيدُ
الْمِيلِ إِلَى الْمَاءِ ، يُقِيمُ فِيهِ سَاعَاتٍ وَيَعْبُهُ بِخَرْطُومِهِ ،

وَيُلْقِيهِ عَلَى جَسَدِهِ ، ثُمَّ يَتَمَرَّغُ عَلَى الْأَرْضِ لِيَطْلِيَ جِسْمَهُ
بِالطِّينِ ، حَتَّى لَا يُضَاقِقَهُ الذُّبَابُ .

وَلِكُلِّ طَوَالِ الْأَرْجُلِ مِنَ الْحَيَوَانِ فِي الْغَالِبِ
أَعْنَاقٌ طَوِيلَةٌ ، لِيَسْهُلَ عَلَيْهَا تَنَاوُلُ طَعَامِهَا مِنَ الْأَرْضِ .
وَأَمَّا الْفِيلُ ، فَلَمَّا كَانَتْ ضَخَامَةُ رَأْسِهِ تَسْتَلْزِمُ قِصَرَ عُنُقِهِ ،
فَقَدْ مَدَّ اللَّهُ فِي أَنْفِهِ — وَهُوَ مَا نُسِمِيهِ بِأُخْرَطُومٍ — حَتَّى
يَسْتَخْدِمَهُ فِيمَا يَسْتَخْدِمُ الْإِنْسَانُ يَدَهُ ، فَيَتَنَاوَلُ بِهِ الطَّعَامَ
وَالْمَاءَ ، وَيُوجِّهُهُ حَيْثُ شَاءَ . وَفِي طَرَفِهِ زَائِدَةٌ يَلْتَقِطُ
بِهَا الْأَشْيَاءَ الدَّقِيقَةَ حَتَّى الْإِبْرَ ، وَيَحُلُّ الْأَحْبَالَ الْمَعْقُودَةَ .
وَلَهُ نَابَانِ كَبِيرَانِ ، يَبْرُزَانِ مِنْ فِكَهِ الْعُلْوِيِّ ، كَثِيرًا
مَا يَبْلُغُ وَزْنُهُمَا ثَلَاثُمِائَةَ رِطْلٍ ، وَبِهِمَا يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ ،
وَيَقْتُلُ الْأَشْجَارَ ، وَمِنْ أَجْلِهِمَا يُقْتَنَصُ ، لِأَنََّّهُمَا غَالِيَا
الْثَمَنِ . وَجِلْدُ الْفِيلِ غَلِيظٌ مَتِينٌ ، لَا يَكَادُ السَّيْفُ يَعْمَلُ
فِيهِ . وَلَهُ أُذُنَانِ كَبِيرَتَانِ كَالْمَرَاوِجِ ، يُحَرِّكُهُمَا لِيَذُبَّ بِهِمَا
الذُّبَابُ . وَعَيْنَاهُ صَغِيرَتَانِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى ضَخَامَةِ جِسْمِهِ .

وَيَسْتَأْنِسُهُ النَّاسُ فِي بِلَادِ الْهِنْدِ خُصُوصًا ، فَيَسْتَخْدِمُونَهُ
لِلرُّكُوبِ ، وَفِي الْمَصَانِعِ لِنَقْلِ الْأَثْقَالِ . وَهُوَ مُغْرَمٌ
بِالْأَطْفَالِ ، يُبَلِّغُهُمْ وَيَحْرُسُهُمْ إِذَا نَزَلُوا فِي كَنَفِهِ .

۴۱ - الْعَاجُ

مُدِّيَّةٌ	إِنْتَهَزَ	عَجَزَ	مُتَقَوِّسَةٌ
تَحْضُرُ	يَبْضِيَّةٌ	مُسْتَعْلِمٌ	السَّرَنْدِيبِيُّ

ذَهَبَ إِسْمَاعِيلُ مَعَ أَخِيهِ الصَّغِيرِ إِلَى دُكَّانٍ لِيَشْتَرِيَ
مُدِّيَّةً ، وَطَلَبَ مِنَ الْبَائِعِ أَنْ يَأْتِيَهُ بِمُدِّيَّةٍ لَهَا يَدٌ
مِنْ الْعَاجِ .

فَإِنْتَهَزَ الْبَائِعُ فُرْصَةَ صِغَرِ سِنِّهِ ، وَأَحْضَرَ لَهُ مُدِّيَّةً
يَدُهَا مِنَ الْعَظْمِ . فَلَمَّا رَأَاهَا إِسْمَاعِيلُ رَدَّهَا وَقَالَ : « إِنِّي
لَا أَطْلُبُ مُدِّيَّةً يَدٍ مِنَ الْعَظْمِ » . فَأَخَذَهَا أَخُوهُ وَسَأَلَهُ
قَائِلًا : « كَيْفَ عَرَفْتَ أَنَّ هَذَا عَظْمٌ لَا عَاجٌ ؟ » فَأَنْتَظَرَ

إِسْمَاعِيلُ، حَتَّى أَتَاهُ التَّاجِرُ بِمُدِيَّةٍ لَهَا يَدٌ مِنَ الْعَاجِ .
وَبَعْدَ أَنْ قَلَبَهَا أُعْطَاهَا لِأَخِيهِ ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَمْتَحِنَ
الْأَثْنَتَيْنِ ، وَيَرَى بِنَفْسِهِ الْفَرْقَ ؛ وَلَكِنَّهُ عَجَزَ عَنْ
إِذْرَاكِهِ .

فَأَخَذَ إِسْمَاعِيلُ الْمُدِيَّتَيْنِ ، وَوَجَّهَ نَظَرَ أَخِيهِ إِلَى
إِحْدَى الْيَدَيْنِ ، وَبَيَّنَ لَهُ فِيهَا خُطُوطًا دَقِيقَةً مُتَقَوِّسَةً ،
ذَاتَ لَوْنٍ يُخَالِفُ لَوْنَ الْيَدِ ، تَحْصُرُ يَدْنَهَا أَشْكَالًا دَقِيقَةً
بَيَضِيَّةً . وَقَالَ : « هَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْعَظْمِ وَالْعَاجِ » .
وَزَادَ أَنَّ الْعَاجَ أَثْقَلُ مِنَ الْعَظْمِ ، وَأَقْبَلُ مِنْهُ لِلصَّقْلِ .
وَهُوَ الْمَادَّةُ الْوَحِيدَةُ ، الَّتِي تُسْتَخْرَجُ مِنَ الْحَيَوَانِ ، وَفِيهَا
مِثْلُ هَذِهِ الْخُطُوطِ .

ثُمَّ اتَّفَقَتَا إِسْمَاعِيلُ إِلَى التَّاجِرِ مُسْتَعْلِمًا عَنِ الثَّمَنِ ،
وَدَفَعَهُ إِلَيْهِ ، وَأَنْصَرَفَ مَعَ أَخِيهِ يُحَادِثُهُ عَلَى الْعَاجِ ، فَأَخْبَرَهُ
أَنَّهُ يُحْصَلُ مِنْ أُنْيَابِ الْفَيْلَةِ ، وَأَنَّ خَيْرَهُ مَا كَانَ مِنْ
أَفْيَالِ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَيَلِيهِ فِي الْجُودَةِ السَّرَنْدِيبِيُّ ، ثُمَّ الْهِنْدِيُّ

قراءة ج ٢ (٦)

۴۲ - الْقِطَّانِ

اللَّهُوُ الْعَدُوُّ الْإِثْتِلَافُ كَشَرَ
انْطَلَقَ تَلَا حَقَّ السَّبَابُ التَّزَاعُ

كَانَ قِطَّانِ أَخَوَانِ ، يَسْكُنَانِ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ . وَكَانَا
صَغِيرَيْنِ ، يُحِبَّانِ اللَّهُوَ وَاللَّعِبَ ، فَيَخْرُجَانِ إِلَى حَدِيقَةِ
الْبَيْتِ ، وَيَتَسَابِقَانِ فِي الْعَدُوِّ وَالْوُثْبِ ، وَهُمَا فِي غَايَةِ
السُّرُورِ وَالْإِثْتِلَافِ .

وَيَيْنَمَا هَذَانِ الْقِطَّانِ يَلْعَبَانِ ، إِذْ رَأَى أَحَدُهُمَا فَأَرَةً
عَلَى بُعْدٍ . فَرَفَعَ أُذُنَيْهِ ، وَكَشَرَ عَنْ أَنْيَابِهِ الصَّغِيرَةِ ،
وَأَنْطَلَقَ نَحْوَ فَرِيسَتِهِ ، وَاعِدًا نَفْسَهُ بِصَيْدٍ سَمِينٍ . وَلَكِنَّهُ
مَا كَادَ يَجْرِي خَطَوَاتٍ ، حَتَّى رَأَى أَخَاهُ يَعْدُو نَحْوَ تِلْكَ
الْفَأْرَةِ الْمُسْكِينَةِ . فَتَلَا حَقَّ الْقِطَّانِ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهَا ،
وَأَبَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنْ يَكُونَ أَخُوهُ الْفَازِرُ بِالصَّيْدِ ،
وَحَاوَلَ أَنْ يَمْنَعَهُ . فَعَلَا يَنْتَهَمَا الْخِصَامُ وَالسَّبَابُ ، وَأَخِيرًا

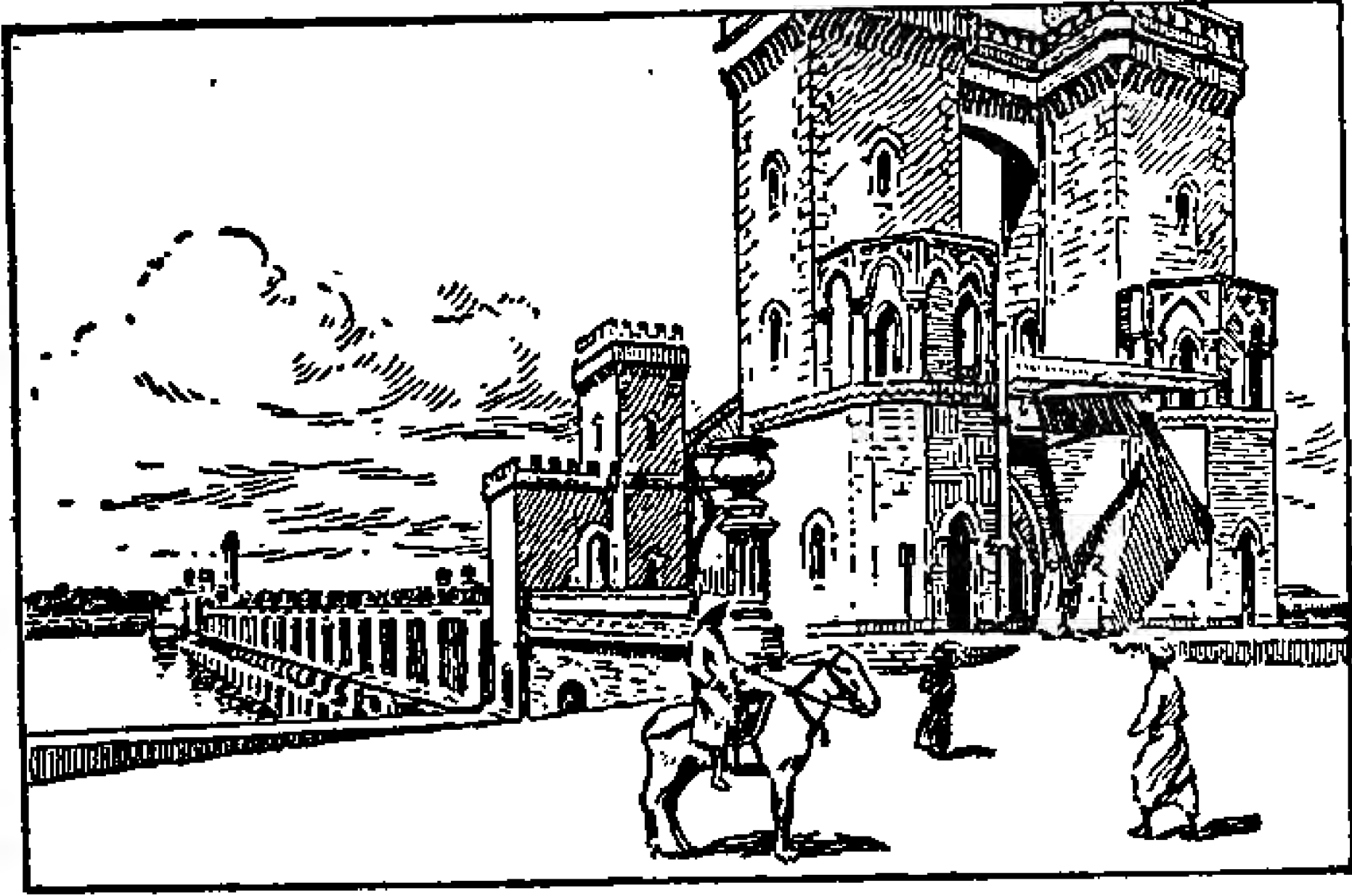
أَنْقَلَبَ الْحَالُ إِلَى عِرَاكِ شَدِيدٍ ، وَعَظْرٍ وَخَمَشٍ
وَتَجْرِيجٍ ، حَتَّى سَالَ الدَّمُ مِنْهُمَا جَمِيعًا .
وَأَمَّا الْفَأْرَةُ ، فَإِنَّهَا لَمَّا رَأَتْ مَا وَقَعَ بَيْنَ عَدُوِّيْهَا مِنْ
الْخِصَامِ وَالشَّجَارِ ، هَرَبَتْ إِلَى جُحْرِهَا آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً ،
وَهِيَ تَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى سَلَامَتِهَا ، بِسَبَبِ النَّزَاعِ الَّذِي قَامَ
بَيْنَ الْأَخَوَيْنِ جَهْلًا وَغِبَاوَةً . وَلَوْ اتَّفَقَا عَلَى صَيْدِهَا ،
لَقَبَضَا عَلَيْهَا بِدُونِ أَنْ تَسْتَطِيعَ مِنْهُمَا خَلَاصًا .

۴۳ — الْقَنَاطِرُ الْخَيْرِيَّةُ

الْفَيْضَانُ يَسْدُ مُصْلِحٌ اخْتَطَّ مَنِيعٌ
مَفْرَقٌ فَسِيحَةٌ جَنَّةٌ يَحْجِزُ بِقَدَرٍ

يَجْزِي النِّيلُ أَيَّامَ الْفَيْضَانِ بِسُرْعَةٍ عَظِيمَةٍ ، وَيَحْمِلُ
مِقْدَارًا كَبِيرًا مِنَ الْمَاءِ يَرْمِيهِ فِي الْبَحْرِ الْأَبْيَضِ الْمَتَوَسِّطِ ،
بَغَيْرِ فَائِدَةٍ تَعُودُ عَلَى الْبِلَادِ . وَإِذَا جَاءَتْ أَيَّامُ التَّشَارِيقِ ،

لَمْ يَجِدِ الْفَلَاحُ مِنَ الْمَاءِ مَا يَسُدُّ حَاجَتَهُ



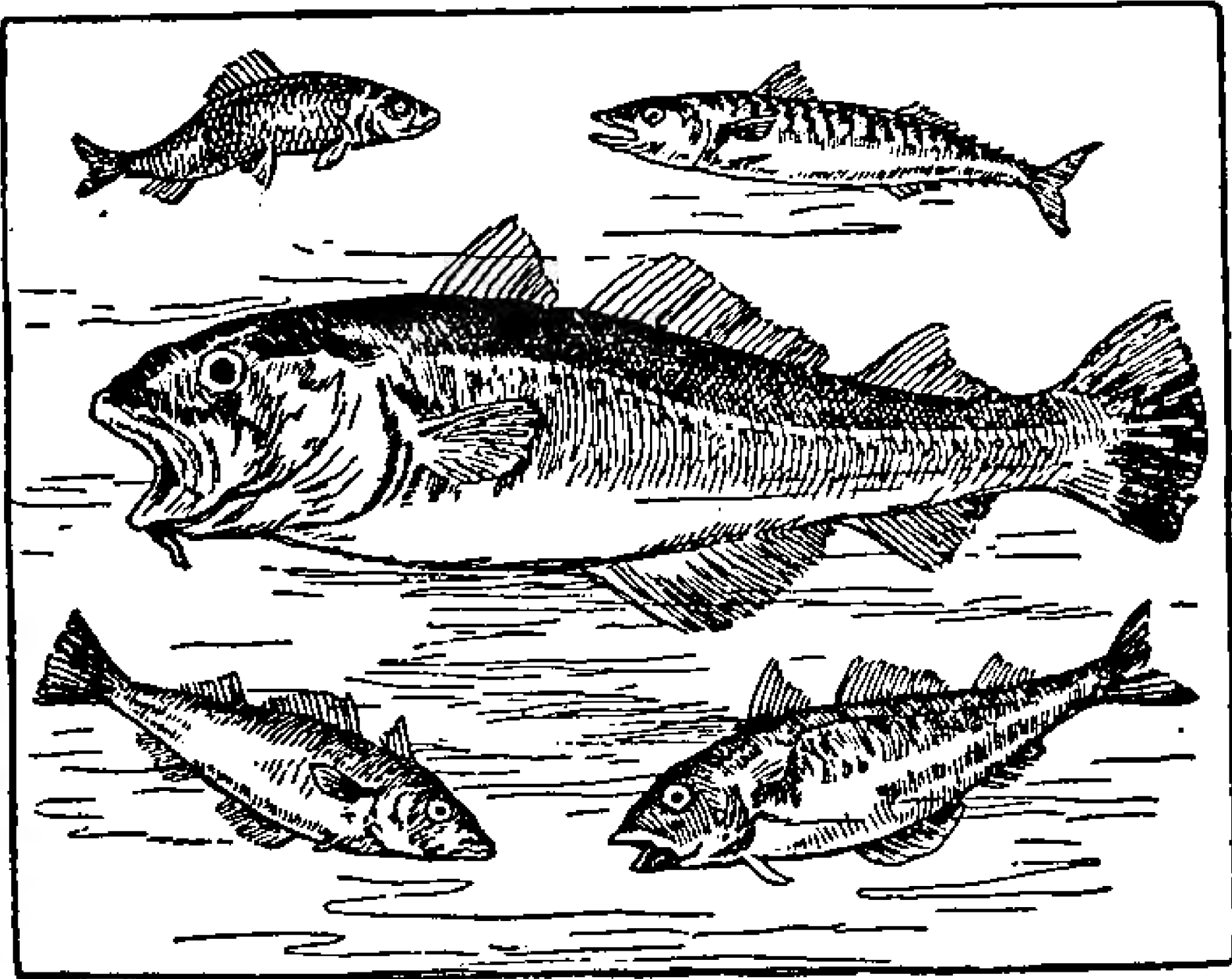
رَأَى ذَلِكَ مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ بَاشَا وَآلِي مِصْرَ وَمُصْلِحُهَا
الْكَبِيرُ، فَأَتَى بِالْمُهَنْدِسِ الْبَارِعِ لِينَانَ بَاشَا سَنَةَ ١٨٣٥ ،
فَأَخْطَطَ سَدًّا مَنِيعًا شَمَالَ الْقَاهِرَةِ ، عِنْدَ مَفْرَقِ النَّيْلِ إِلَى
فَرْعِيهِ ، فِيهِ عُيُونٌ تُفْتَحُ وَتُقْفَلُ بِحَسَبِ الْحَاجَةِ ؛ وَحَفَرَ
بِجَانِبِهَا تَرْعًا عَظِيمَةً وَاسِعَةً ، تَجْرِي إِلَى قَلْبِ الْوَجْهِ الْبَحْرِيِّ
فِي جَمِيعِ جِهَاتِهِ وَنَوَاحِيهِ ، ثُمَّ فَرَعَ مِنْهَا فُرُوعًا أُخْرَى
تَجْرِي وَتَتَشَعَّبُ ، كَأَنَّهَا الْعُرُوقُ فِي جَوْفِ الْبِلَادِ ؛

وَجَعَلَ فَوْقَهَا طُرُقًا فَسِيحَةً كَهَيْئَةِ قَنَاطِرٍ ، وَغُرِسَتْ
الْأَشْجَارُ وَالرِّيَاحِينُ فِيهَا جَاوِرَهَا مِنَ الْأَرْضِ ، فَصَارَتْ
جَنَّةً تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، تَشْرَحُ الصُّدْرُ وَتَقْرُ
الْعَيْنَ ، وَسُمِّيتُ مِنْ ذَلِكَ الْحِينِ بِالْقَنَاطِرِ الْخَيْرِيَّةِ ، لِمَا تَجْلِبُهُ
مِنَ الْخَيْرِ عَلَى الْفَلَاحِ . وَلَمَّا كَثُرَتْ هَذِهِ الْقَنَاطِرُ فِي
الْقَطْرِ ، سُمِّيتُ أَخِيرًا قَنَاطِرَ الدَّلَا .

بَنَى هَذِهِ الْقَنَاطِرَ الْمُهَنْدِسَانِ الْمَاهِرَانِ مَظْهَرُ بِكَ
وَمُوجِبُ بِكَ وَعَمِلَا فِيهَا خَمْسَ قَنَاطِرَ : وَاحِدَةً عَلَى كُلِّ
مِنْ فَرْعَى النَّيْلِ ، وَوَاحِدَةً عَلَى كُلِّ مِنْ الرِّيَّاحِ التَّوْفِيقِيَّ
وَرِيَّاحِ الْمُتَوَفِّيَةِ وَرِيَّاحِ الْبُحَيْرَةِ . وَمَاءُ النَّيْلِ يُحْجَزُ
جَنُوبَهَا وَيُوزَعُ عَلَى الْأَرْضِ بِقَدَرِ مَعْلُومٍ ، وَبِذَلِكَ أُنْتَظَمَ
حَالُ الرِّىِّ فِي الْوَجْهِ الْبَحْرِيِّ .

۴۴ — السَّمَكُ

إِخْتَنَقَ زَعَانِفُ سَكَّانُ نَفَاحَتَانِ
هَبَطَ الشُّعُوبُ فُلُوسُ



السَّمَكُ حَيَوَانٌ لَا يَعِيشُ إِلَّا فِي الْمَاءِ ، وَإِذَا أُخْرِجَ
إِلَى الْأَرْضِ اخْتَنَقَ وَمَاتَ . وَهُوَ عَرِضٌ مِنْ وَسْطِهِ
يَتَدَرَّجُ فِي الدَّقَّةِ نَحْوَ الرَّأْسِ وَالذَّنْبِ ، لِيُمْكِنَهُ أَنْ يَشُقَّ
طَرِيقَهُ فِي الْمَاءِ وَيَسِيرَ بِسُهُولَةٍ عَظِيمَةٍ . وَلِهَذَا السَّبَبُ
بَنَى النَّاسُ سُفُنَهُمْ دَقِيقَةَ الطَّرْفَيْنِ .

وَالسَّمَكَ خَمْسُ زَعَانِفَ : وَاحِدَةٌ فَوْقَ ظَهْرِهِ ، وَأَرْبَعُ
فِي جَانِبَيْ بَطْنِهِ ، اثْنَتَانِ أَمَامَ وَاثْنَتَانِ خَلْفَ ، يُحَرِّكُهَا
جَمِيعًا لِلسَّبَاحَةِ . وَيُحَرِّكُ ذَنْبَهُ كَذَلِكَ لِيزِيدَ سُرْعَتَهُ ،
وَلِيَكُونَ لَهُ بِمَنْزِلَةِ سُكَّانٍ يُوجِّهُهُ كَيْفَمَا شَاءَ . وَفِي
جَوْفِهِ نَفَّائَتَانِ مُمْتَلِئَتَانِ بِالْهَوَاءِ ، إِذَا نَفَخَهُمَا خَفَّ وَصَعِدَ
فِي الْمَاءِ ، وَإِذَا ضَغَطَهُمَا ثَقُلَ وَهَبَطَ .

وَجِلْدُ السَّمَكَ مُغَطَّى بِفُلُوسٍ كَثِيرَةٍ صُلْبَةٍ ، تَلْمَعُ
كَلِمَانِ الصَّدْفِ . وَهَذِهِ الْفُلُوسُ تَمْنَعُ أَلَمَ الْأَصْطِدَامِ
بِالْحِجَارَةِ وَالشَّعْبِ . وَلَهُ أَسْنَانٌ حَادَّةٌ قَاطِعَةٌ فِي فَكِّهِ ،
وَلِكِنَّهُ لَا يَمَضُغُ طَعَامَهُ .

وَيَتَوَلَّدُ فِي جَوْفِهِ شِبْهُ بَيْضٍ كَثِيرٍ الْعَدَدِ لَا يُحْصِيهِ
إِلَّا اللَّهُ ، حَتَّى إِذَا أُدْرِكَ بَقَّهٗ مِنْ فِيهِ فِي الْمَاءِ ، فَلَا
يَمْضِي عَلَيْهِ زَمَنٌ إِلَّا وَقَدْ انْقَلَبَ سَمَكًا صَغِيرًا ، فَيَتَرَامَى
عَلَيْهِ كَبِيرُ السَّمَكَ وَيَأْكُلُ كَثِيرًا مِنْهُ .

وَأَنْوَاعُ السَّمَكِ كَثِيرَةٌ لَا يُدْرِكُهَا حَصْرٌ ، فَمِنْهَا
الطَّوِيلُ وَالْعَرِيزُ وَالْكَبِيرُ وَالصَّغِيرُ ، وَمَا كَانَ رَأْسُهُ
يُمَاطِلُ رُءُوسَ بَعْضِ صُنُوفِ الْحَيَوَانِ ، وَمَا كَانَ مُؤْذِيًا
يَأْكُلُ النَّاسَ ، وَمَا كَانَ لِنَا يَعْيشُ فِي مَحَارٍ مِنَ الصَّدَفِ ،
يَفْتَحُهَا وَيُقْفِلُهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ .

هـ - الْخَادِمُ وَالسَّمَكَةُ

زِحَامٌ	دَفَعَ	حَقَارَةٌ	انْصِرَافٌ
تَغَيُّظٌ	يَكِيدُ	نَتْنٌ	الْحَدِيثَةُ

أَرْسَلَ سَيِّدُ خَادِمَتِهِ لِيَشْتَرِيَ لَهُ سَمَكًا مِنَ السُّوقِ .
فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْخَانُوتِ ، وَجَدَ زِحَامَ الْمُشْتَرِينَ شَدِيدًا ،
فَوَقَفَ بُرْهَةً يَنْتَظِرُ خِفَةَ الزَّحَامِ ، وَالنَّاسُ يَتَسَابِقُونَ إِلَى
الشِّرَاءِ بِلَا تَرْتِيبٍ . فَلَمَّا طَالَ انْتِظَارُهُ دَفَعَ إِلَى دَاخِلِ
الْخَانُوتِ ، وَقَبَضَ عَلَى سَمَكَةٍ وَرَجَا مِنَ الْبَائِعِ أَنْ يَزِنَهَا
لَهُ وَيُخْبِرَهُ بِسَمَنِهَا .

وَلَمَّا لَمْ يَلْتَفِتِ السَّمَاءُ إِلَيْهِ لِحِقَارَةِ ثِيَابِهِ ، كَرَّرَ عَلَيْهِ الطَّلَبَ ، فَلَمْ يَزِدْ إِلَّا أَنْصِرَافًا عَنْهُ . فَتَغَيَّظَ الْخَادِمُ مِنْ مُعَامَلَةِ الْبَائِعِ لَهُ ، وَدَبَّرَ فِي نَفْسِهِ حِيلَةً لَطِيفَةً يَكِيدُ بِهَا لَهُ .

فَأَخَذَ سَمَكَةً وَقَرَّبَهَا مِنْ أَنْفِهِ كَأَنَّهُ يَشُمُّهَا ، فَأَغْتَاظَ الْبَائِعُ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ غَاضِبًا : « لِمَ إِذَا تَشُمُّ سَمَكِي أَتِيهَا الرَّجُلُ وَلَيْسَ عِنْدِي سَمَكٌ نَتْنٌ ؟ أَتُرِكَ السَّمَكَ إِنْ لَمْ يُعْجِبْكَ ، وَأَرْحَلُ عَنِّي وَرِزْقِي عَلَى اللَّهِ . »

فَقَالَ الْخَادِمُ : أَنَا لَا أَشُمُّ هَذِهِ السَّمَكَةَ ، وَلَكِنِّي أَسْمَعُ مِنْهَا الْجَوَابَ عَنْ سُؤَالِ أَلْقِيَّتِهِ عَلَيْهَا .

فَقَالَ السَّمَاءُ : « مَاذَا سَأَلْتَهَا وَبِمَاذَا أَجَابَتْكَ ؟ »

فَقَالَ الْخَادِمُ : « سَأَلْتُهَا هَلْ رَأَتْ أَخِي الَّذِي غَرِقَ فِي الْبَحْرِ مُنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فَأَجَابَتْ أَنَّهَا لَا تَعْرِفُ شَيْئًا مِنْ أَخْبَارِ الْبَحْرِ الْخَدِيثَةِ ، لِأَنَّهَا خَرَجَتْ مِنْهُ مُنْذُ أُسْبُوعَيْنِ . »

٤٦ - مِشْيَةُ الْغُرَابِ

أَخْلَى دَهَى حُدُودُ يَتَنَغَى الصَّدُ

كَانَ الْغُرَابُ فِي الزَّمَانِ أَخْلَى

يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْهِ بِاعْتِدَالٍ

فَأَبْصَرَ الْعُصْفُورَ يَوْمًا يَلْعَبُ

وَقَدْ دَهَى عَقْلَ الْغُرَابِ الْعَجَبُ

فَلَمْ يَزَلْ يَسْتَحْسِنُ التَّفَاتَةَ

وَقَفَّزَهُ حِينَ مَشَى وَفَاتَهُ

وَفَكَّرَ الْغُرَابُ فِي تَلَفَّتِهِ

وَطَيْرِهِ وَوَثْبِهِ وَخِفَّتِهِ

وَأَكَّدَ الْعَزَمَ عَلَى تَقْلِيدِهِ

وَحَاوَلَ الْخُرُوجَ عَنْ حُدُودِهِ

نَحَابَ مِنْهُ السَّعْيُ بَعْدَ زَمَنِ

مُطَوَّلٍ قَضَاهُ فِي التَّعَرُّفِ

وَعَادَ لِلْوَضْعِ الْقَدِيمِ الْأَوَّلِ
وَمَا شَفَى النَّفْسَ بَنِيْلِ الْأَمَلِ

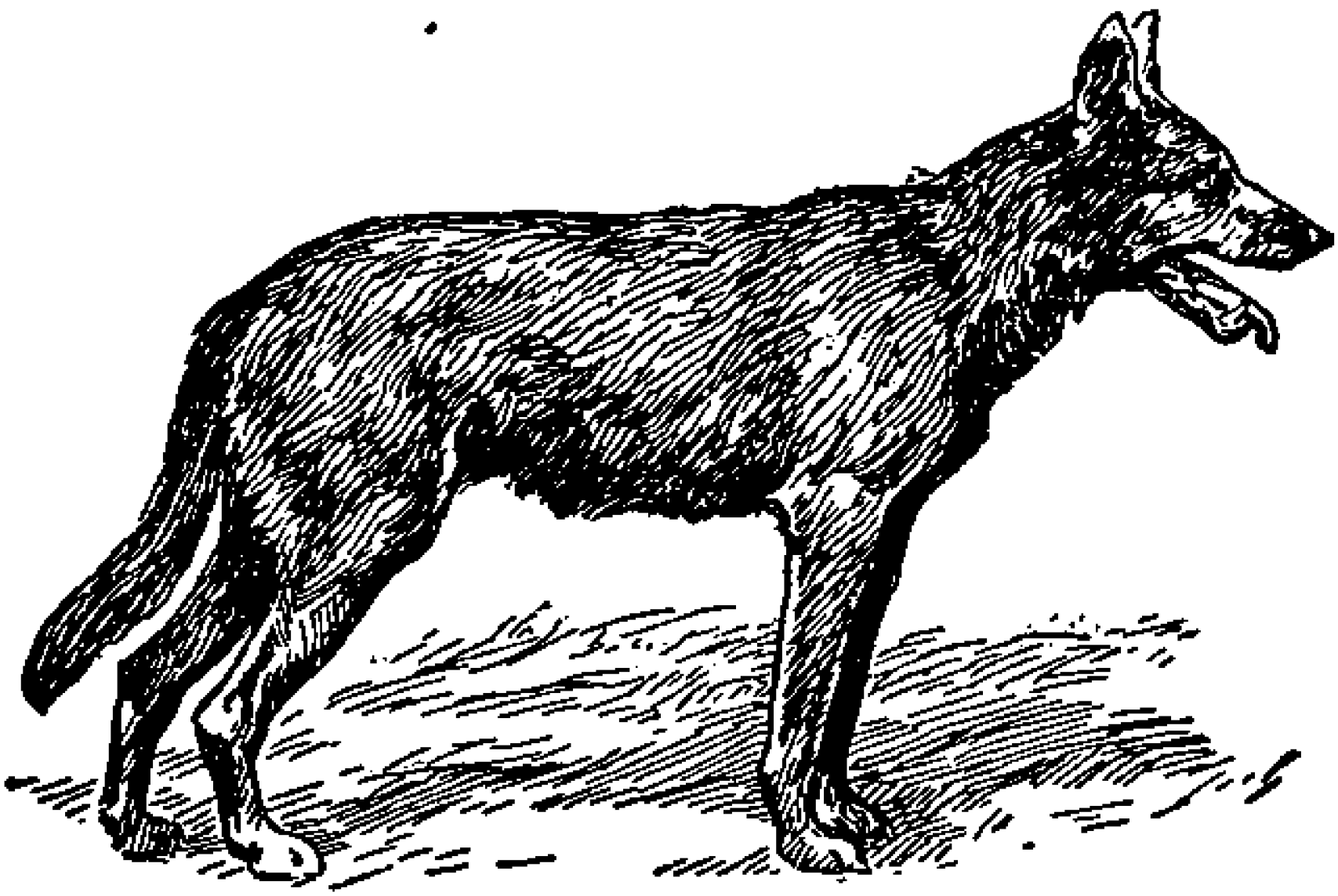
لَكِنَّهُ قَدْ نَسِيَ التَّمَشِّيَ
وَلَمْ يَعُدْ يَعْرِفْ كَيْفَ يَمْشِي

وَهَكَذَا مَنْ يَبْتَغِي الضَّدَّ لِمَا
فِي طَبْعِهِ يَضِيعُ مَا يَنْهَمَا
(المطالعة المصرية)

٤٧ - الذِّئْبُ

أَطْلَسُ الْخَطْمُ الضَّوَارِي أَشْرَسُ الْعَوَائِدِ
تَجَاهَ يَقْضَى إِقْدَامٌ وَهُمْ

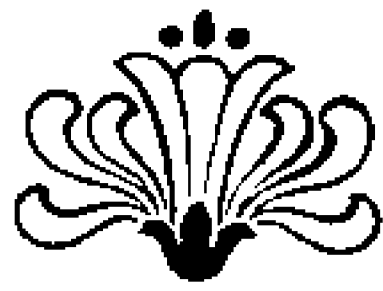
الذِّئْبُ حَيَوَانٌ يُشَبُّهُ الْكَلْبُ، وَلَكِنَّهُ أَكْبَرُ مِنْهُ
وَهُوَ أَطْلَسُ اللَّوْنِ أَوْ أَصْفَرُهُ، طَوِيلُ الْخَطْمِ، أَفْطَسُ
الْأَنْفِ، وَحَاسَّةُ الشِّمِّ قَوِيَّةٌ جِدًّا عِنْدَهُ، حَتَّى قِيلَ إِنَّهُ



يُذَرِّكُ الْأَشْيَاءَ بِرَاحَتِهَا عَلَى بُعْدِ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ . وَهُوَ مِنْ
ضَوَارِي الْحَيَوَانِ وَمِنْ أَشْرَسِهِ وَأَكْثَرِهِ إِضْرَارًا بِالْغَنَمِ .
وَمِنْ طَبَاعِهِ الْخِيَانَةُ وَكَثْرَةُ الْوَوَاءِ إِذَا أُذِرَكَ الْجُوعُ .
فَإِذَا عَوَى اجْتَمَعَتِ الذِّئَابُ وَوَقَفَ بَعْضُهَا تِجَاهَ بَعْضٍ ،
فَإِذَا هَرَبَ أَحَدُهَا وَثَبَتَ عَلَيْهِ جَمِيعًا وَأَكَلَتْهُ .
وَيَزْعُمُ الْعَرَبُ أَنَّ الذِّئْبَ يَنَامُ وَإِحْدَى عَيْنَيْهِ مُقْفَلَةٌ
وَالْأُخْرَى يَقْظَى ، فَإِذَا اكْتَفَتِ الْعَيْنُ النَّائِمَةَ ، فَتَحَهَا
وَنَامَ بِالْأُخْرَى . وَهَذَا الزَّعْمُ وَهْمٌ بَاطِلٌ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ
يُسِيرُ إِلَى شِدَّةِ حِرْصِهِ . وَمِنْ طَبْعِهِ أَيْضًا الْجُبْنُ ، فَإِنَّهُ

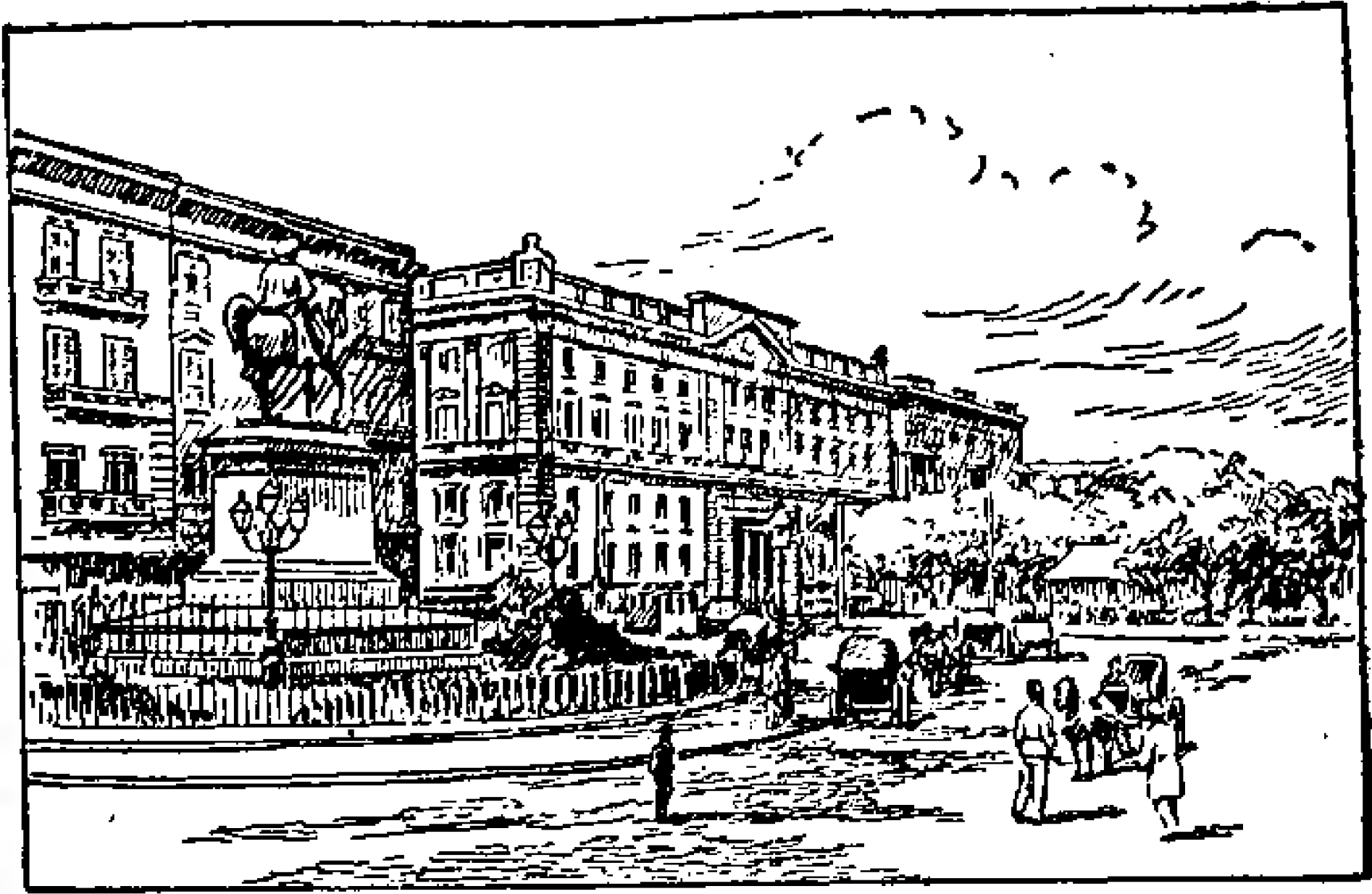
لَا يَخْرُجُ لِلصَّيْدِ إِلَّا جَمَاعَاتٍ ، وَإِذَا رَأَى مِنَ الْإِنْسَانِ
إِقْدَامًا عَلَيْهِ ، خَافَ وَفَرَّ هَارِبًا . وَمِنْ عَادَاتِهِ أَنَّهُ لَا يَعُودُ
إِلَى فَرِيسَتِهِ ، إِذَا أَكَلَ مِنْهَا وَشَبِعَ . وَإِذَا أَحَسَّتِ
الذَّنَابُ بِمَرَضٍ أَحَدَهَا أَكَلَتْهُ .

وَالذَّنْبُ عَدُوٌّ لِدُودِ الْفَلَاحِ ، يَقْتُلُ غَنَمَهُ وَيَأْكُلُهَا
كُلَّمَا وَجَدَ لَهُ فُرْصَةً . وَيَهْجِمُ عَلَى صِغَارِ الْأَطْفَالِ يَعْضُهُمْ
وَيَنْهَشُ مِنْ لَحْمِهِمْ نَهَشًا ، وَإِذَا رَأَى الْكِلَابَ ، أَوْ سَمِعَ
نُبَاحَهَا ، وَلَّى وَعَادَ مِنْ حَيْثُ أَتَى .



۴۸ — مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ بَاشَا

سَرَاوِيلُ وَضَاحُ شَارِبَانِ لِحْيَةٌ إِحْيَاءُ
مُؤَسَّسٌ وَالِ لَبِّي الثَّيَابُ



فِي وَسْطِ الْإِسْكَندَرِيَّةِ مَيْدَانُ « مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ » الْفَسِيحُ،
وَفِيهِ قَدْ نُصِبَتْ صُورَةُ رَجُلٍ رَاكِبًا حِصَانًا، وَعَلَى رَأْسِهِ
عِمَامَةٌ كَبِيرَةٌ، وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ طَوِيلَةٌ، تَحْتَهَا سَرَاوِيلٌ وَاسِعَةٌ،
وَفِي وَسْطِهِ سَيْفٌ مُتَقَوِّسٌ، وَوَجْهُهُ وَضَاحٌ لَهُ شَارِبَانِ
طَوِيلَانِ وَلِحْيَةٌ دَائِرَةٌ.

تلك الصورة نصبت إحياء لذكر محمد علي الكبير .
مؤسس الأسرة الملكية الفخمة ، الذي خلص القطر
المصري ، من يد الممالك الظالمين .

كان محمد علي ضابطاً تركيا ، أتى مع الجيش الذي
أرسلته الحكومة العثمانية ، لإخراج الفرنسيين من
مصر ، في أوائل القرن الماضي . ثم ترقى بحسن عمله ،
وأحبه المصريون وطلبوا جعله والياً على مصر ، فلبت
الحكومة العثمانية طلبهم .

عرف محمد علي أن المصريين يصلحون لكل
الأعمال ، إذا وجدوا رئيساً طيباً . فنظم الحكومة على
نظام حسن ، وأدخل الصناعات من البلاد الأجنبية ،
حتى صارت السفن الحربية تُصنع في الإسكندرية .
وأنشأ مصانع لجميع الحاجات الأخرى ، مثل الطرايش
والأحذية ، والسيارات القطنية والحريرية . وأدخل زراعة

الْقُطْنُ ، الَّذِي هُوَ الْآنَ أَسَاسُ غِنَى الْقَطْرِ . فَلَا شَكَّ
أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ الْعَظِيمَ ، هُوَ أَصْلُ التَّقَدُّمِ الْحَاصِلِ الْآنَ
فِي مِصْرَ ، فِي عَصْرِ نَا الزَّاهِرِ ، عَصْرِ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ فُؤَادِ .

٤٩ — الشَّجَاعَةُ وَالْجَبْنُ

مَعْرَكَةٌ	مُتَابَعَةٌ	مِصْرٌ	رَمَى
الْهَلَكَةُ	مِنْطَقَةٌ	يَطْقُو	خَلَعَ
خَاطَرَ	خَاصَّةٌ	يَسْخَرُ	

خَرَجَ رَمَضَانُ وَسَلِيمَانُ يَتَمَشَّيَانِ فَرَأَيَا مَعْرَكَةً فِي
الطَّرِيقِ ، وَطَلَبَ سُلَيْمَانُ مِنْ رَمَضَانَ أَنْ يَقِفَ مَعَهُ لِيَرِيَا
مَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِهَا . فَأَبَى رَمَضَانُ إِلَّا مُتَابَعَةَ السَّيْرِ ،
خَوْفَ أَنْ يَلْحَقَهُمَا أَذَى وَلَيْسَ لَهُمَا دَخْلٌ فِيهَا . فَأَلْحَ
سُلَيْمَانُ عَلَى رَفِيقِهِ الَّذِي مَا زَالَ مُصِرًّا عَلَى مُتَابَعَةِ السَّيْرِ ،
فَتَضَيَّبَ سُلَيْمَانُ وَرَمَى رَمَضَانَ بِالْجُبْنِ وَافْتَرَقَا .

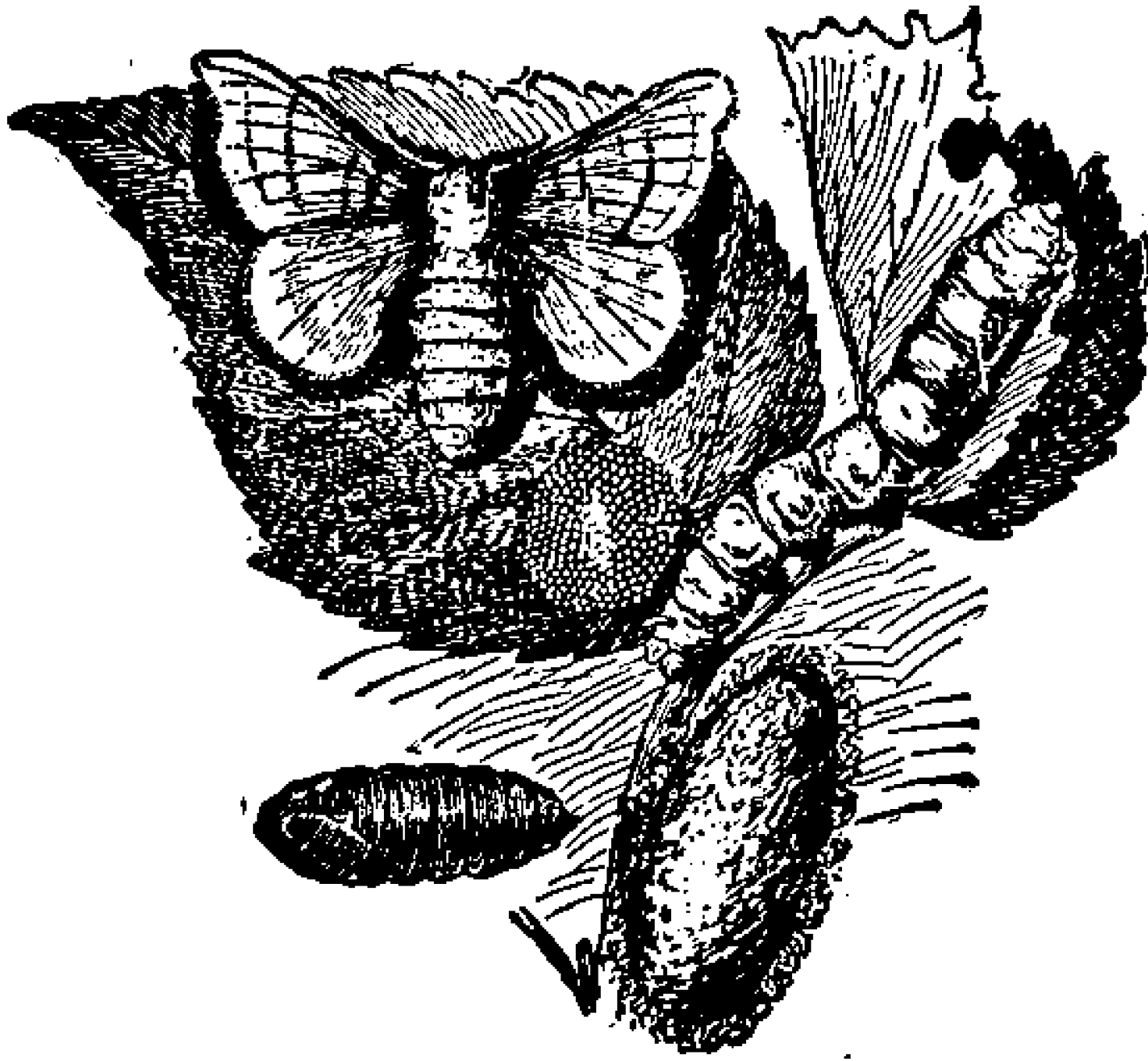
وَبَعْدَ ذَلِكَ صَارَ سُلَيْمَانُ وَبَعْضُ خَاصَّتِهِ ، يَسْخَرُونَ
 مِنْ رَمَضَانَ ، وَيُعِيرُونَهُ بِالْجُبْنِ . وَلَكِنْ رَمَضَانَ تَحْمَلُ
 أَذَاهُمْ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ ، لِعِلْمِهِ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الشَّجَاعَةِ ،
 أَنْ يُلْقَى الْمَرْءُ بِنَفْسِهِ فِي الْمَخَاطِرِ ، عَلَى غَيْرِ طَائِلٍ ،
 وَمَسْطُورُ الْأَيَّامِ مَبْلَغُ شَجَاعَتِهِ يَوْمًا مَا . وَبَعْدَ ذَلِكَ
 بِأَيَّامٍ ، اتَّفَقَ أَنَّ سُلَيْمَانَ كَانَ يَسْتَحِمُّ مَعَ رِفَاقِهِ ، وَتَجَاوَزَ
 حَدَّ مِنْطَقَةِ الْأَسْتِحْثَامِ قَتِيبَ ، وَصَارَ يَغْطِسُ وَيَطْفُو
 وَيَصْرُخُ ، مُسْتَعِثًا بِإِخْوَانِهِ الَّذِينَ كَانُوا مِثْلَهُ ، يَتَبَاهَوْنَ
 بِشَجَاعَةِ لَيْسَتْ فِيهِمْ ، وَلَكِنَّهُمْ تَرَكَوهُ وَهَرَبُوا .
 وَلَمَّا رَأَى رَمَضَانُ - وَهُوَ عَلَى الشَّاطِئِ - مَا حَلَّ
 بِسُلَيْمَانَ ، خَلَعَ مَلَابِسَهُ بِغَايَةِ السَّرْعَةِ ، وَوَثَبَ فِي الْمَاءِ
 وَسَبَحَ ، وَخَاطَرَ بِنَفْسِهِ لِيُخَلِّصَهُ . وَبَعْدَ الْجُهْدِ الْعَظِيمِ
 أَخْرَجَهُ سَالِمًا .

وَبِهَذَا الْعَمَلِ ، خَجَلَ سُلَيْمَانُ وَرِفَاقُهُ مِنْ تَعَدِّيهِمْ عَلَى
 رَمَضَانَ ، وَأَعْتَرَفُوا لَهُ بِأَنَّهُ أَكْثَرُهُمْ شَجَاعَةً وَحِكْمَةً .

قراءة ج ۲ (۷)

۵۰ - دُودَةُ الْقَرَزِ

أُرْدَدُّ شَرَّةُ يَتَلَصَّقَانِ
الْفِيلَجُ نُدَى الْفَرَّاشُ



كَانَ سُرُورِي لَا يُقَدَّرُ ، حِينَ أَتَانِي يَوْمًا قَلِيلٌ
مِنْ بَيْضِ دُودِ الْقَرَزِ ، وَهُوَ لَا يَزِيدُ فِي حَجْمِهِ عَلَى حَبِّ
السَّمْسِمِ . فَوَضَعْتُهُ عَلَى وَرْقَةٍ فِي صُنْدُوقٍ ، وَصِرْتُ أَرْقُبُهُ
مِنْ وَقْتٍ إِلَى آخَرٍ .

وَذَاتَ يَوْمٍ ، وَجَدْتُ دِيدَانًا صَغِيرَةً سَوْدَاءَ تَتَحَرَّكُ
 الصُّنْدُوقِ . فَأَسْرَعْتُ إِلَى أَبِي لِأُخْبِرَهُ بِخَبَرِهَا .
 لَمَّا رَأَاهَا قَالَ إِنَّهَا دِيدَانُ الْقَرْزِ ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَكْثِرَ لَهَا
 مِنْ وَرَقِ الثُّوتِ ، لِأَنَّهُ غِذَاوُهَا ، وَأَنْ أَرْقُبَ نُمُوَّهَا .
 بَصُرْتُ أُرَدَّدُ عَلَيْهَا كُلَّ يَوْمٍ مُدَّةَ شَهْرٍ .

وَكَنتُ أَرَاهَا تَأْكُلُ بِشَرِّهِ ، وَتَكْبُرُ بِسُرْعَةٍ ، حَتَّى
 تَمَّارَ طُولُ الْوَاحِدَةِ خَمْسَةَ سَنَتَيْمَرَاتٍ تَقْرِيْبًا . وَفِي أَثْنَاءِ
 هَذَا الشَّهْرِ ، تَغْيَرُ جِلْدُهَا وَلَوْنُهَا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ .

وَبَعْدَ ذَلِكَ تَرَكَتِ الْأَكْلَ ، وَأَخَذَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ
 تَخْرُجُ خَيْطَيْنِ مِنْ تَقْيَيْنِ فِي فَكِّهَا السُّفْلِيِّ ، فَيَتَلَاصِقَانِ
 عِنْدَ خُرُوجِهِمَا ، وَيُكُونَانِ خَيْطًا وَاحِدًا . وَتَدُورُ بِرَأْسِهَا
 حَوْلَ جِسْمِهَا ، لِتَكُونَ غَزْلًا مِنْ خَيْطٍ وَاحِدٍ ، عَلَى
 فَكْلِ يَيْضَةٍ صَغِيرَةٍ ، تُبَطِّنُهَا بِالصَّمْغِ مِنَ الدَّاخِلِ :
 وَهَذِهِ هِيَ الْفَيْلَجُ .

وَلَمَّا أَخْبَرَنِي وَالِدِي أَنَّ شَكْلَهَا يَتَغَيَّرُ أَثْنَاءَ الْغَزْلِ
صِرْتُ أَرْقُبُهَا كُلَّ يَوْمٍ . وَبَعْدَ أُسْبُوعَيْنِ ، رَأَيْتُ فِيلَجًا
نُدِّيَ مِنْ جَانِبِهِ ، ثُمَّ رَأَيْتُ شَيْئًا يَخْرُقُهُ . فَأَنْتَظَرْتُ قَلِيلًا
وَإِذَا بِفَرَاشٍ جَمِيلِ الْمَنْظَرِ ، خَرَجَ يُرْفِرِفُ بِجَنَاحَيْهِ .
وَالْأُنْثَى مِنْهُ تَبِيضُ ، ثُمَّ تَمُوتُ بَعْدَ ذَلِكَ .

۵۱ - الْحَرِيرُ

يُغَرِّضُ	يَفْرِزُ	تَتَوَالِي	الْأَطْوَارُ
صِقْلِيَّةُ	الْأَنْسِجَةُ	أَسَاطِينُ	مَسَالِكُ

لَا أُنْسَى يَا أَبِي كُلَّ الْأَطْوَارِ الَّتِي شَاهَدْتُهَا تَتَوَالِي
عَلَى دُودَةِ الْقَزِّ . وَلَكِنِّي لَا أَزَالُ أَجْهَلُ كَيْفَ يُؤْخَذُ
الْحَرِيرُ مِنْهَا . فَقَالَ الْأَبُ : « عَلِمْتَ يَا بُنَيَّ أَنَّ الْفِيلَجَ
مُكُونٌ كُلُّهُ مِنْ خَيْطٍ وَاحِدٍ ، يَتَقَطَّعُ عِنْدَ خُرُوجِهِ
الْفَرَاشِ مِنْهُ . وَلَكِنِّي يُمَكِّنُ الْخُصُولُ عَلَى خُيُوطِ طَوِيلَةٍ

كَامِلَةً ، يُفَرِّزُ عَدَدٌ مِنْ أَكْبَرِ الْفَيَالِجِ ، وَيُتْرَكُ لِيَخْرُجَ
مِنْهُ الْفَرَّاشُ كَمَا رَأَيْتَ . وَأَمَّا الْبَاقِي فَيُعَرَّضُ لِلْحَرَارَةِ ،
حَتَّى يَمُوتَ الدُّودُ فِي جَوْفِهِ . وَحِينَئِذٍ يُبْحَثُ عَنْ طَرَفِ
الْخَيْطِ ، وَيُسْحَبُ وَيُلَفُّ عَلَى مَسَالِكِ ، وَيُسَمَّى حِينَئِذٍ
خَزًّا . وَبَعْدَ ذَلِكَ يُلَفُّ عَلَى أَسَاطِينِ ، ثُمَّ يُنْظَفُ لِلْعَزْلِ ،
وَيُهَيَّأُ لِلنَّسِجِ .

وَمِنْ الْخَرِيرِ تُصْنَعُ سَائِرُ الْأَنْسِجَةِ الْخَرِيرِيَّةِ : كَالْقَطِيفَةِ
وغيرِهَا . وَأَوَّلُ مَنْ عَرَفَ الْخَرِيرَ الصِّينِيُّونَ وَالْأَعْجَامُ .
وَكَانَ لَا يَسْتَعْمِلُهُ إِلَّا الْأَغْنِيَاءُ ، لِأَنَّهُ كَانَ يُبَاعُ
بِوزْنِهِ ذَهَبًا .

وَأَوَّلُ مَنْ أَدْخَلَ دُودَ الْقَزِّ فِي أَوْرُبَّا رَاهِبَانِ تَجَمِّيَّانِ ،
كَانَ مَعَ كُلِّ مِنْهُمَا عَصَا مِنْ الْقَصَبِ مَلَأَهَا بَيْضًا ،
وَذَهَبَا إِلَى رُومَا فِي عَهْدِ الْمَلِكِ يُسْتِنْيَانِ ، سَنَةَ خَمْسِمِائَةٍ
بَسْبَعٍ وَعِشْرِينَ بَعْدَ الْإِيلَادِ ، وَمِنْهَا انْتَشَرَ فِي أُنْحَا

أَوْرُبَّا . وَأَوَّلُ مَصْنَعِ أَشْيَاءٍ فِيهَا كَانَ فِي صِفْلِيَّةَ سَنَةِ ۱۱۳۰ .
وَالْحَرِيرُ يُصْنَعُ الْآنَ فِي إِنْكَلِتْرَا وَفَرَنْسَا وَإِيطَالِيَا ،
وَالْهِنْدِ وَالصِّينِ وَالْيَابَانَ وَتُرْكِيَا .

۵۲ - الصِّيَادُ وَالْأَسَدُ

الْبَرِّيَّةُ	يَسْتَرِقُ	الْكَاسِرُ	هَضْبَةٌ
مِطْفٌ	قُبْعَةٌ	تَحْيَلُ	إِسْتَجْمَعُ
صَرِيحٌ	الشَّبَحُ		

خَرَجَ رَجُلٌ لِلصَّيْدِ فِي الْبَرِّيَّةِ ، فَرَأَى أَسَدًا يَسْتَرِقُ
الْخَطَا خَلْفَهُ مِنْ بَعْدٍ ، كَأَنَّهُ يَقْصِدُ أَفْتِرَاسَهُ ، مَتَى أَتَى
الظَّلَامُ . وَلَمْ يَسْتَطِيعِ الرَّجُلُ أَنْ يَهْرُبَ جَرِيًا ، لِعِلْمِهِ أَنَّ
الْأَسَدَ يَجْرِي أَسْرَعَ مِنْهُ فَيُدْرِكُهُ . فَمَشَى مُسْرِعًا وَهُوَ
يَتَلَفَّتُ وَرَاءَهُ ، لِيُرَاقِبَ حَرَكَاتِ الْأَسَدِ . وَصَارَ يُفَكِّرُ
فِي حِيلَةٍ تُنْجِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْعَدُوِّ الْكَاسِرِ .



وَأَخِيرًا بَلَغَ هَضْبَةً عَالِيَةً فَصَعِدَ عَلَيْهَا ، وَكَانَتْ
الشَّمْسُ قَدْ مَالَتْ لِلْغُرُوبِ ، وَأَخَذَ النُّورُ يَزُولُ . فَتَأَمَّلَ
الرَّجُلُ حَوَالِيَهُ ، فَرَأَى أَمَامَهُ هُوَّةً عَمِيقَةً جِدًّا ، كُلُّهَا
صُخُورٌ كَبِيرَةٌ . تَخْلَعُ مِعْطَفَهُ وَقُبْعَتَهُ ، وَرَكَبَهُمَا عَلَى
بُنْدُقِيَّتِهِ ، ثُمَّ اخْتَفَى خَلْفَ صَخْرَةٍ فِي الْهَضْبَةِ ، وَرَفَعَ
الْبُنْدُقِيَّةَ بِمَا عَلَيْهَا مِنَ الْمَلَابِيسِ .

فَتَخَيَّلَ الْأَسَدُ أَنَّهَا الرَّجُلُ لَا يَزَالُ وَاقِفًا فِي مَكَانِهِ .
فَتَقَبَّضَ وَأَسْتَجْمَعَ قُوَاهُ ، وَوَثَبَ وَثْبَةً شَدِيدَةً عَلَى ذَلِكَ
الشَّجَرِ ، فَسَقَطَ فِي قَعْرِ الْهُوَّةِ ، وَمَاتَ صَرِيحًا عَلَى
صُخُورِهَا ، وَنَجَّى الرَّجُلُ بِحِيلَتِهِ .

۵۳ — اللَّوْءُ لُؤْ

اللَّوْءُ لُؤْ صُنُوفُ مَحَارُ حُلَّةٌ

فِي الْبَحْرِ صُنُوفٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْأَسْمَاكِ : مِنْهَا مَا لَهُ
عَظْمٌ يَجْعَلُ جِسْمَهُ مُسْتَقِيمًا ، قَادِرًا عَلَى الْحَرَكَةِ وَالسَّيَاحَةِ ؛
وَمِنْهَا مَا لَيْسَ لَهُ عَظْمٌ ، بَلْ لَهُ مَحَارٌ يَعِيشُ فِيهِ ، لِأَنَّهُ
لَيْنٌ كَالْعَجِينِ ، يُؤَلِّمُهُ أَيْ صَدِّمُ أَوْ أَحْتِكَاكٍ . وَلِذَلِكَ
يَفْرُزُ مَادَّةَ غِرَائِيَّةٍ بَيَضاءَ ، يُبْطِنُ بِهَا سَطْحُ الْمَحَارِ ،
فَتَجِفُّ وَتُكَوِّنُ الصَّدْفَ الْبَرَّاقَ الْمُسْتَعْمَلَ فِي الزَّيْنَةِ .

وَإِذَا دَخَلَ جَوْفَ الْمَحَارِ ذَرَّةٌ مِنْ جِسْمٍ غَرِيبٍ ،
آلَمَتْهُ أَلَمًا شَدِيدًا . فَيَفْرُزُ مِنْ تِلْكَ الْمَادَّةِ الصَّدْفِيَّةِ
جُزْءًا كَبِيرًا يُحِيطُ بِهِذِهِ الذَّرَّةُ ، لِيَمْنَعَ عَنْ نَفْسِهِ الْآلَمَ ،
وَتَكُونُ عَلَى هَيْئَةِ كُرَةٍ مُنْتَظِمَةٍ ، مَتَى جَفَّتْ صَارَتْ لُؤْلُؤَةً
كَرِيمَةً . وَلَيْسَ اللَّؤْلُؤُ كُلُّهُ أَيْضًا ، بَلْ مِنْهُ الْوَرْدِيُّ ،



وَالْبَنَفْسَجِيُّ ، وَالْأَزْرَقُ . وَيُوجَدُ بِكَثْرَةٍ فِي الْخَلِيجِ
الْفَارِسِيِّ ، وَفِي سَوَاحِلِ جَزِيرَةِ سِيلَانَ ، وَأَمْتِرَالِيَا ،
وغيرها من البلاد .

وَالصَّيَّادُونَ يَخْرُجُونَ لَصَيْدِهِ فِي صِفَارِ الْقَوَارِبِ ،
وَحِخْفِ الْمَرَائِبِ ، وَيَنْزِلُ الْغَوَّاصُونَ إِلَى قَعْرِ الْبَحْرِ
يَجْمَعُونَ عَدَدًا كَبِيرًا مِنَ الصَّدَفِ . وَمِنَ الْغَوَّاصِينَ مَنْ
يَلْبَسُ حُلَّةَ خَاصَّةً ، تُنْزَلُ الْهُوَاءُ إِلَيْهِمْ فِي أُنَائِبَ ،
فَيُمْكِنُهُمُ الْبَقَاءُ زَمَنًا طَوِيلًا تَحْتَ الْمَاءِ . وَيَرْبِطُونَ
حَوْلَ أَوْسَاطِهِمْ حَبْلًا مَتِينًا وَاصِلًا إِلَى الْقَارِبِ ، وَيَبْدِهِمْ
حَبْلٌ رَفِيعٌ وَاصِلٌ كَذَلِكَ إِلَى الْقَارِبِ . فَإِذَا حَسَّ
الْغَوَّاصُ بِضِيقِ فِي النَّفْسِ ، أَوْ تَعَبٍ فِي الْجِسْمِ ، أَوْ
خَافَ أَدَى مِنَ الْأَشْمَاكِ الْمُفْتَرِسَةِ ، جَذَبَ الْحَبْلَ الرَّفِيعَ
بِشِدَّةٍ ، فَيَجْذِبُهُ زُمَلَاؤُهُ الَّذِينَ فِي الْقَارِبِ ، وَيَخْرُجُ
مِنَ الْبَحْرِ بِأَمَانٍ .

۵۴ — جَزَائِ الْوَالِدَيْنِ

مَهْدٌ أَوَّاهُ شَاحِبٌ حَنِينٌ لَمَّ
هَتَفَ ضَجَّةٌ وَقَعُ الْبُرءُ نَبْضُ
السَّقَمِ الْغَمِّ حَنَانٌ

مَالِي مَرِضْتُ وَكَمْ أَقَاسِي مِنَ أَلَمٍ !
وَرَقَدْتُ فِي مَهْدِي وَكَمْ أَشْكُو وَكَمْ !

أَوَّاهُ مِنْ وَجَعٍ أَرَاهُ أَصَابَنِي !
فَهَتَفْتُ يَا أُمَّاهُ ! قَالَتْ لِي نَعَمْ .

جَاءَتْ عَلَى تَعَجَلٍ بِلَوْنٍ شَاحِبٍ
وَحَنِينٍ صَوْتٍ هَاجَ مِنْ قَلْبٍ لِفَمٍ .
لَسْتُ خُدُودِي رَحْمَةً وَحَبَّةً

وَجَرَتْ تَجِيءُ بِمَا يُخَفِّفُ لِي أَلَمٌ .
عَادَتْ تُسَلِّينِي بِعَذْبِ حَدِيثِهَا ،
وَتَقْصُّ مِنْ خَبَرِ الْبِلَادِ مَعَ الْأُمِّ ،

حَتَّى سَمِعْتُ عَلَى السَّلَامِ ضَجَّةً ،
وَكَلَامَ أَشْخَاصٍ فَوْقًا بِالْقَدَمِ
هَذَا أَبِي وَيَجْنِبُهُ رَجُلٌ أَتَى ،
هُوَ ذَا الطَّيِّبِ لَكِنِّي يُعَالِجَنِي قَدِمُ
قَاسَ الْحَرَارَةَ جَسَّ نَبْضِي بَعْدَهَا
وَرَجَا لِي الْبُرْءَ السَّرِيعَ مِنَ السَّقَمِ
حَضَرَ الدَّوَا ، فَشَرِبْتُهُ فَوَجَدْتُهُ
مُرًّا ، وَلَكِنْ فِيهِ كَشْفٌ لِلنِّعَمِ
فَرِحْتُ لِدَا أُمِّي ، وَدَاعَبَنِي أَبِي ،
فَنَشِطْتُ حَتَّى مِنْ سُرُورِي لَمْ أَنْمِ
هَذَا حَنَانُ الْأُمِّ مِنْ أَجْلِ أَبْنَاهَا ،
وَكَذَلِكَ حُبُّ أَبِي ، فَمَا هَذِي النَّعَمُ !
لِجَزَاءِ هَذَا الْحُبِّ مِنِّي طَاعَةٌ
وَمَحَبَّةٌ مَا شَاءَ رَبِّي ذُو الْكَرَمِ

۵۵ - الْجَمَلُ (۱)

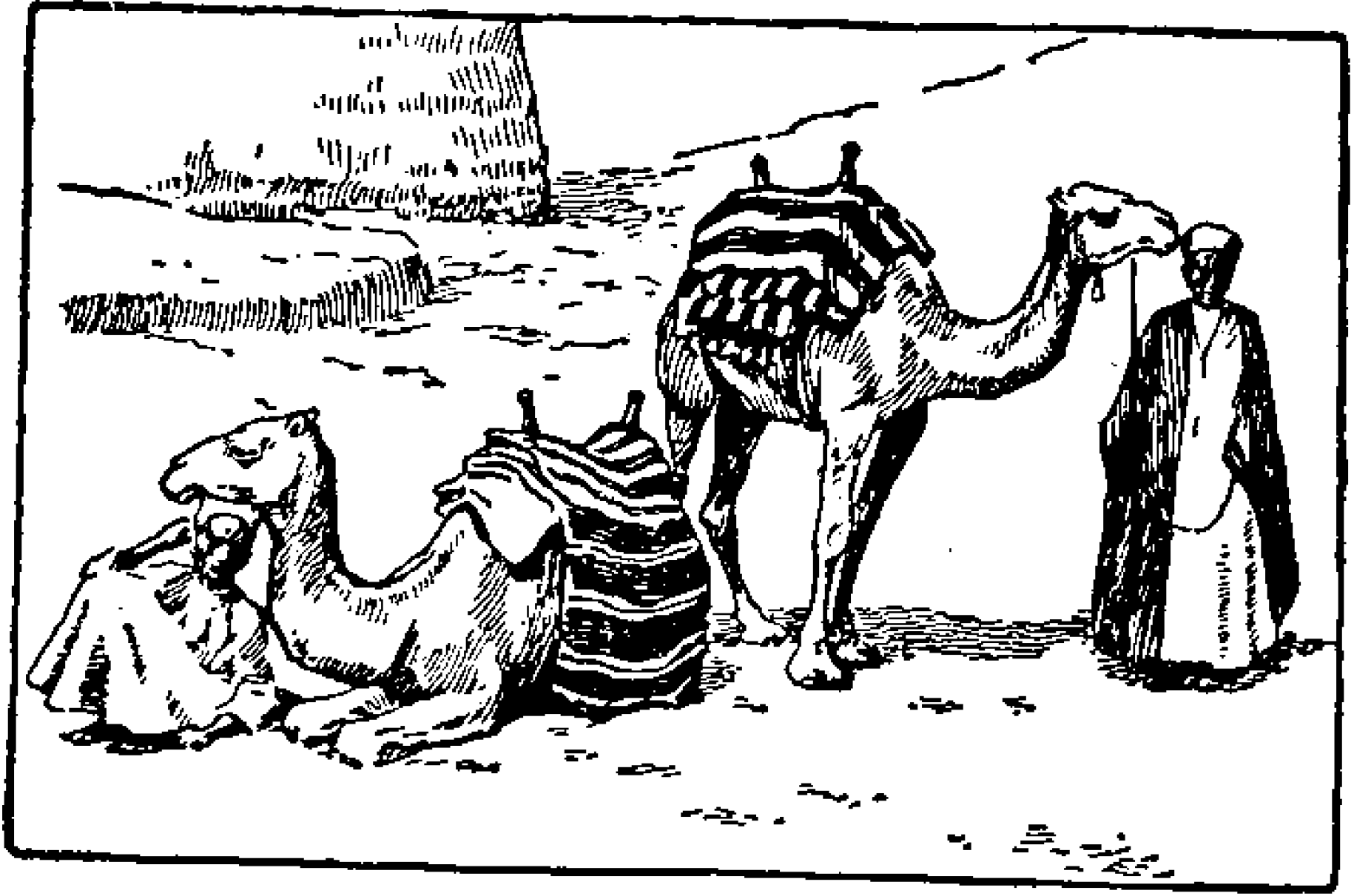
الدَّاجِنُ أَخْفَافُ سَوَّخُ سَنَامُ الْقَتَبُ
جَرَّةٌ اجْتَرَّ يَغْذُو أَزْجَاقُ قَفَرٌ

أَنْظُرُوا إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ، تَرَوْهَا لَا مَثِيلَ لَهَا
فِي الْخَلْقَةِ . فَإِنَّ الْجَمَلَ أَكْبَرُ الْحَيَوَانِ الدَّاجِنِ جِسْمًا ،
وَأَطْوَلُهُ سَاقًا ، وَلِذَلِكَ كَانَتْ رَقَبَتُهُ طَوِيلَةً ، حَتَّى يُمَكِّنَهُ
أَنْ يَرْعَى الْكَلَاءَ مِنَ الْأَرْضِ بِدُونِ أَنْ يَبْرُكَ . وَرَأْسُهُ
صَغِيرٌ لِيَكُونَ خَفِيفَ الْحَمْلِ عَلَى رَقَبَتِهِ . وَأَرْجُلُهُ فِيهَا
أَخْفَافٌ تَمْنَعُ سَوَّخَهَا فِي رِمَالِ الصَّحَرَاءِ الَّتِي كَثِيرًا
مَا يَسِيرُ فِيهَا . وَعَلَى ظَهْرِهِ سَنَامٌ كُلُّهُ شَحْمٌ ، يُرَكَّبُ عَلَيْهِ
الْقَتَبُ . وَعَيْنَاهُ سَوْدَاوَانِ وَاسِعَتَانِ ، تَشِفَّانِ عَنْ حِلْمٍ
وَدَعَةٍ . وَلَهُ فِي وَسْطِ بَطْنِهِ قُرْصٌ غَلِيظٌ يُسَمَّى الْكَلْكَلُ ،
يَسْتَنِدُ إِلَيْهِ مَتَى بَرَكَ . وَلَهُ فِي أَرْجُلِهِ قِطْعٌ عَدِيمَةٌ الْحُسِّ
فِي مَوَاقِعِهَا عَلَى الْأَرْضِ .

وَجَوْفُ الْجَمَلِ عَجِيبٌ فِي تَرْكِيبِهِ ، لِأَنَّهُ يَحْتَوِي عَلَى
 جُمْلَةِ كُرُوشٍ يَخْزُنُ فِيهَا مِقْدَارًا عَظِيمًا مِنَ الْغِذَاءِ ، حَتَّى إِذَا
 جَاعَ وَلَمْ يَجِدْ أَكْلًا أَخْرَجَ مِنْ كَرِشِهِ جَرَّةً وَاجْتَرَّهَا ،
 وَلِذَلِكَ يُسَمَّى حَيَوَانًا مُجْتَرًّا . وَإِذَا فَرَّغَ مَا خَزَنَهُ فِي
 جَوْفِهِ ، فَإِنَّ شَحْمَ سَنَامِهِ يَتَحَلَّلُ شَيْئًا فَشَيْئًا لِيَغْذُوهُ ،
 وَيَكْفِيهِ مُدَّةً طَوِيلَةً . وَلِلْجَمَلِ فِي جَوْفِهِ جُمْلَةُ أَزْقَاقٍ
 تَمْتَلِي بِالْمَاءِ عِنْدَ مَا يَشْرَبُ ، حَتَّى إِذَا عَطِشَ فِي مَكَانٍ
 قَفَرٍ لَا مَاءَ فِيهِ ، أَغْنَاهُ مَا خَزَنَهُ عَنِ الشُّرْبِ زَمَنًا طَوِيلًا .

۵۶ - الْجَمَلُ (۲)

قَاحِلَةٌ	يَسْلُكُ	إِضْطِرَارٌ	الْقِفَارُ
مَثُونَةٌ	تَيْنٌ	تِكَلُّ	ضَلَّ
مِنْقَذُ	الْقِيَادُ	يُثَوِّرُ	يَتَأَثَّرُ
تَأَرَّ	الشَّقِيقَةُ		



فِي عِدَّةِ جِهَاتٍ مِنَ الدُّنْيَا صَحَارَى قَاحِلَةٌ ، لَا حَيَوَانَ
فِيهَا وَلَا نَبَاتَ . أَرْضُهَا رِمَالٌ جَافَةٌ ، لَا تُرَى فِيهَا قَطْرَةُ
مَاءٍ ، يَسْلُكُهَا النَّاسُ اضْطِرَارًا ، فَيَحْمِلُونَ زَادَهُمْ مِنْ
مَاءٍ وَطَعَامٍ عَلَى ظُهُورِ الْجُمَالِ . وَيَسِيرُونَ فِي تِلْكَ الْقِفَارِ
مُجْتَمِعِينَ ، وَإِبِلُهُمْ مُتَابِعَةٌ كَالْقِطَارِ . وَهِيَ تَسِيرُ بِهِمْ هَادِيَةً
مَسَاكِينَةً ، تَصْبِرُ عَلَى الْجُوعِ وَالْعَطَشِ مُعْظَمَ الطَّرِيقِ ،
لِأَنَّهَا قَدْ خَزَنْتْ مَثْوَنَتَهَا فِي جَوْفِهَا قَبْلَ الرَّحِيلِ . وَتَحْمِلُ
فَوْقَ ذَلِكَ مِنَ الْمَتَاجِرِ أَهْمَالًا ثِقَالًا لَا تَتْنُّ مِنْهَا وَلَا

تَكَلُّ . فَتَرَى الْجَمَلَ كَأَنَّهُ مَرْكَبٌ يَشُقُّ تِلْكَ الرَّمَالَ
الْوَاسِعَةَ ، وَلِذَا سُمِّيَ سَفِينَةَ الصَّحَرَاءِ .

وَإِنْ ضَلَّ الْمُسَافِرُونَ الطَّرِيقَ فِي الصَّحَرَاءِ ، يَأْخُذُهُمْ
الْقَلَقُ عَلَى حَيَاتِهِمْ ، مَخَافَةً أَنْ يَنْفَدَ زَادُهُمْ فَيَمُوتُوا جُوعًا
وَعَطَشًا . وَلَكِنَّ الْجَمَلَ يُنْقِذُهُمْ أحيانًا مِنْ تِلْكَ
الْأَخْطَارِ ، لِأَنَّهُ يَشْمُ الْمَاءَ مِنْ بُعْدٍ ، فَيَسِيرُ نَحْوَهُ
بِسُرْعَةٍ غَرِيبَةٍ لِيَسْتَقِيَ صَاحِبُهُ .

وَالْجَمَلُ سَهْلُ الْقِيَادِ ، لِيَنَّ الطَّبَاعَ ، يَتَحَمَّلُ كَثِيرًا
مِنَ الْأَذَى بِالصَّبْرِ وَالْحِلْمِ . وَلَكِنَّهُ يَثُورُ مَتَى بَلَغَ
الْأَذَى شِدَّةً عَظِيمَةً ، فَيَتَأَثَّرُ مِنْ آذَاهُ ، وَلَا يَتْرُكُهُ إِلَّا
إِذَا تَأَرَّ لِنَفْسِهِ وَفَتَكَ بِهِ .

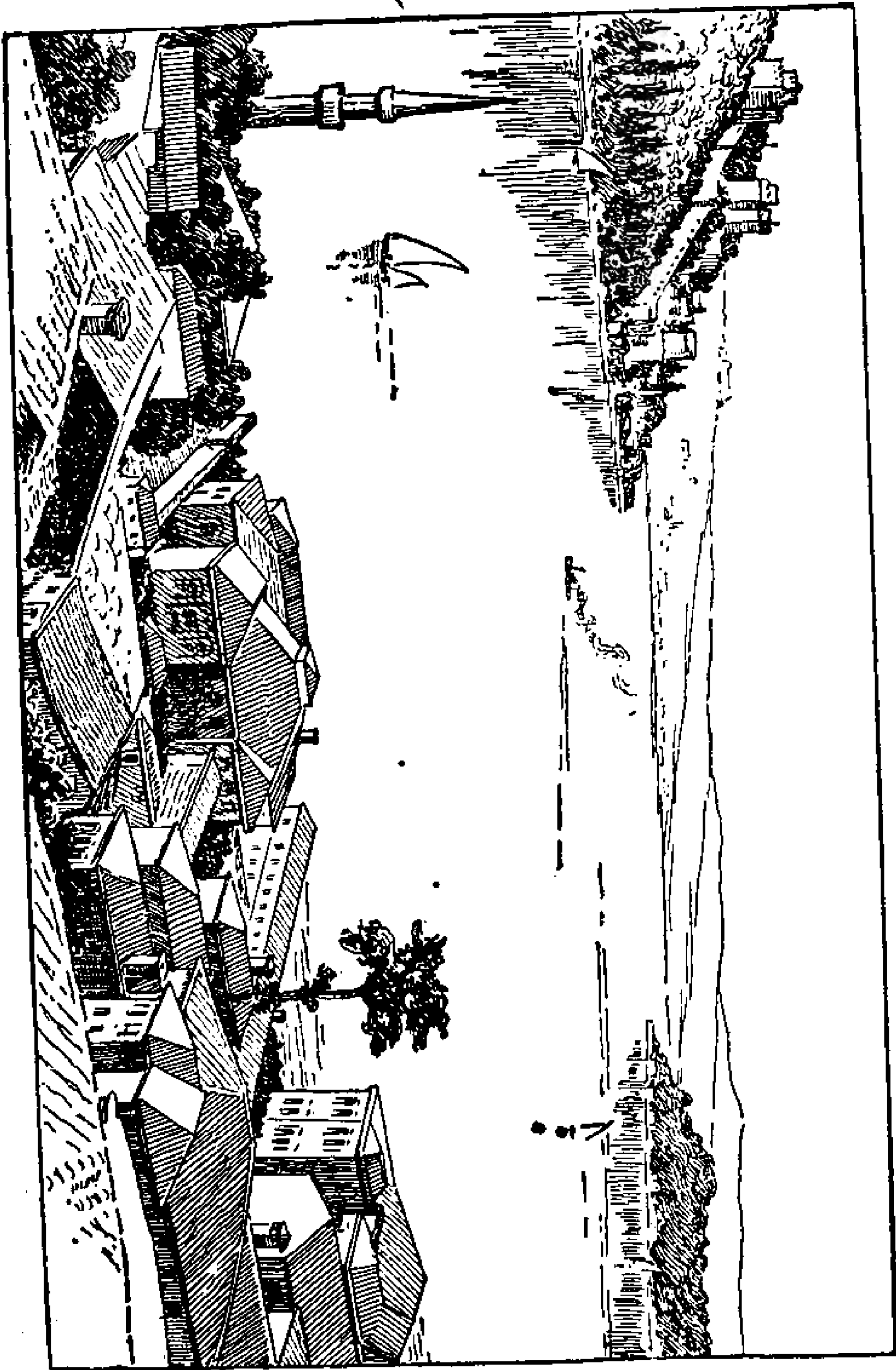
وَإِذَا قَوِيَ الْجَمَلُ أَشْتَدَّ بَأْسُهُ ، وَعَافَ الْأَكْلَ مَا لَمْ
يُوضَعْ فِي فَمِهِ ، وَيَقُولُ النَّاسُ عَنْهُ إِنَّهُ صَائِمٌ . وَفِي هَذِهِ
الْحَالَةِ يُخْرِجُ شِقَاقَهُ مِنْ حَلْقِهِ وَيُشَقِّقُ مِنَ الْغَضَبِ .

۵۷ - الْآسِتَانَةُ (۱)

الْآسِتَانَةُ	تِلَالٌ	مُسَلَّحَةٌ
الْوَسْقُ	وَهَادٌ	حَى
فَخْنَةٌ	السَّلْعُ	يَهْتَدِي

مَدْخَلُ الْآسِتَانَةِ بُوْعَارُ الْبُسْفُورِ الضَّيِّقُ ، وَعَلَى
جَانِبَيْهِ تِلَالٌ فِيهَا أَشْجَارٌ عَالِيَةٌ وَقِلَاعٌ مَنِيعَةٌ ، مُسَلَّحَةٌ
بِكِبَارِ الْمَدَافِعِ مُنْتَشِرَةٌ عَلَى طُولِ الْبُوعَارِ ، وَفِي وَسْطِهِ
خَلِيجٌ قَرْنِ الذَّهَبِ الَّذِي هُوَ فُرْضَةٌ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ .
تُرَى السُّفُنُ فِيهِ وَاقِفَةٌ ، وَحَرَكََةُ الْوَسْقِ وَالتَّفْرِيعُ دَائِمَةٌ ،
وَالْقَوَارِبُ غَادِيَةٌ رَاحِمَةٌ ، تَحْمِلُ النَّاسَ وَالْبَضَائِعَ مِنْ
السُّفُنِ وَإِلَيْهَا ، لِأَنَّ الْمَرْفَأَ لَا رَصِيفَ فِيهِ لِرُسُودِ السُّفُنِ
الْكَبِيرَةِ . وَفِي وَسْطِ قَرْنِ الذَّهَبِ قَنْطَرَةٌ كَبِيرَةٌ وَاسِعَةٌ

قراءة ج ۲ (۸)



أَرْضُهَا مِنَ الْخَشَبِ ، وَعَلَى جَانِبَيْ هَذِهِ الْقَنْطَرَةِ مَرَاسٍ
لِلسُّفُنِ الصَّغِيرَةِ ، الَّتِي تَنْقُلُ النَّاسَ وَالْمَتَاعَ إِلَى الْقُرَى
الْوَاقِعَةِ عَلَى صَفَتِي الْبُسْفُورِ فِي كُلِّ جِهَاتِهِ . وَيُؤْخَذُ عَلَى
كُلِّ مَارٍ عَلَى هَذِهِ الْقَنْطَرَةِ مَكْسٌ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ
نَوْعِهِ ، إِنْسَانًا كَانَ أَوْ دَابَّةً أَوْ عَجَلَةً .

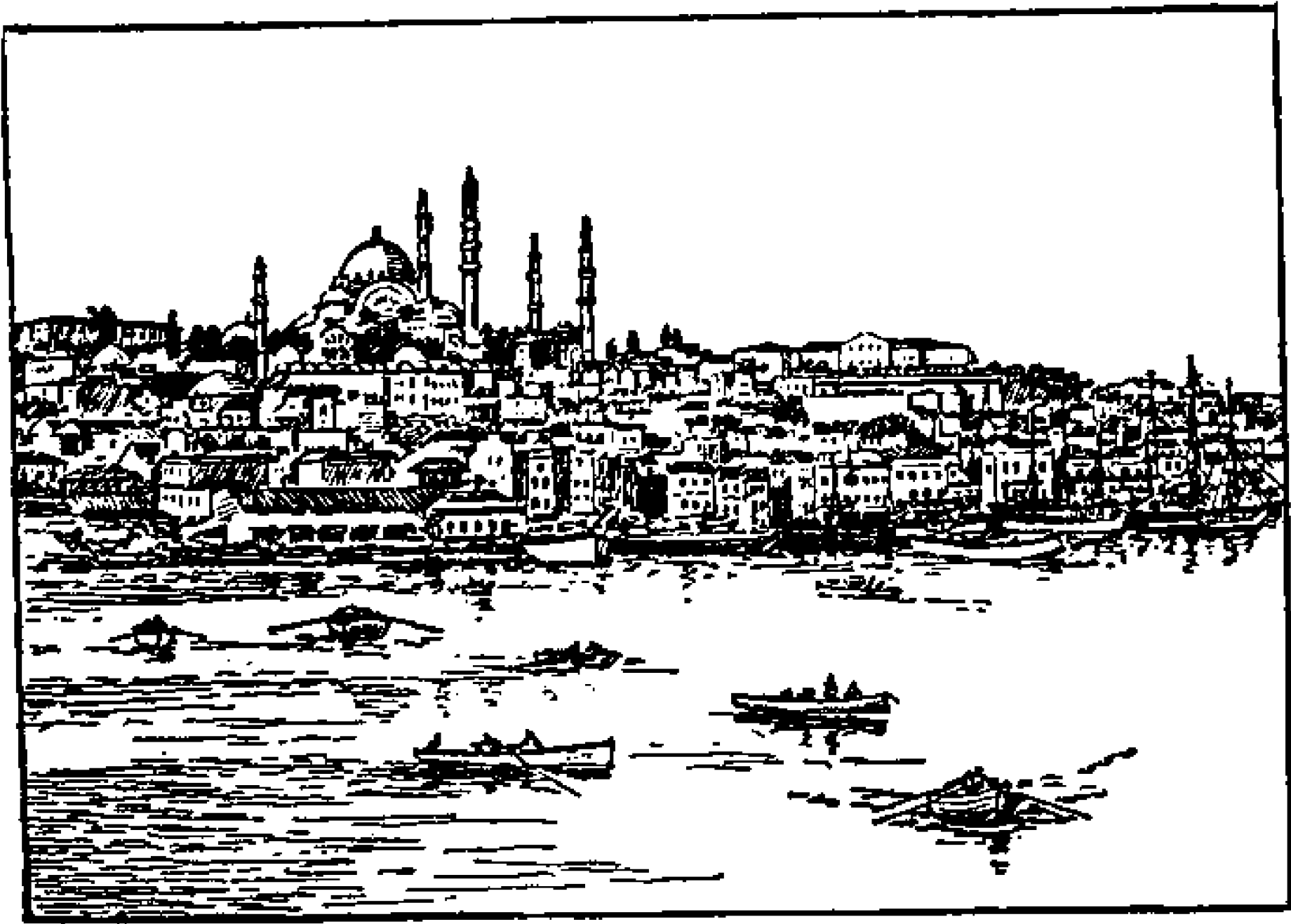
وَالْمَدِينَةُ كَبِيرَةٌ وَاسِعَةٌ ، مَبْنِيَّةٌ عَلَى تِلَالٍ وَوَهَادٍ ،
وَشَوَارِعُهَا فِي إِسْتَنْبُولَ حَيِّ الْمُسْلِمِينَ صَيِّقَةٌ ، وَلَا تُنْظَفُ
نَظَافَةً جَيِّدَةً ، وَلَكِنَّ الْبُيُوتَ نَظِيفَةً مَعَ أَنَّ أَغْلَبَهَا
صَغِيرٌ وَمَبْنِيٌّ مِنَ الْخَشَبِ .

وَأَمَّا غُلْطَةُ حَيِّ الْفِرْنِجِ ، فَهِيَ أَكْثَرُ وَأَبْهَى مِنْ
إِسْتَنْبُولَ ، شَوَارِعُهَا مُنْتَظِمَةٌ ، وَدِيَارُهَا كَبِيرَةٌ فَخْمَةٌ ،
وَفِيهَا أَسْوَاقُ السِّلَعِ الْفِرْنِجِيَّةِ ، وَحَرَكَتُهَا مُسْتَمِرَّةٌ
لَيْلَ نَهَارَ ، وَالْمَصَابِيحُ تُضِيءُ فِي طُرُقِهَا بِاللَّيْلِ لِيَهْتَدِيَ بِهَا
الْمَاشِي وَالرَّاكِبُ . وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ أَقَلُّ فَخَامَةً مِنْ مِصْرَ

أَوِ الْإِسْكَندَرِيَّةَ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، وَفِيهَا بَعْضُ حَدَائِقِ
وَمُنْتَزَعَاتٍ عَامَّةٍ ، يَتَرَدَّدُ إِلَيْهَا النَّاسُ فِي أَوْقَاتِ الْفَرَاغِ .

۵۸ - الْآسِيَّاتَانِ (۲)

أَبْدَعُ	طِرَازُ	حَرَمُ	مُسْتَانِسُ
أَرْبَاضُ	صَفَّةٌ	تَدَفَّقُ	أَجْلِيدُ



مِنْ أَبْدَعٍ مَا يُرَى فِي الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، الْمَسَاجِدُ
الْوَاسِعَةُ الْكَبِيرَةُ الْمُنْتَشِرَةُ فِي جَمِيعِ أَحْيَائِهَا الْإِسْلَامِيَّةِ ،

وَكُلُّهَا مَبْنِيٌّ عَلَى طِرَازٍ يَكَادُ يَكُونُ وَاحِدًا ، لِشِدَّةِ الشَّبهِ
بَيْنَهَا جَمِيعًا . وَلِكُلِّ مَسْجِدٍ حَوْشٌ فَسِيحٌ جَدًّا ، بِمَنْزِلَةِ
حَرَمٍ لَهُ ، يَجْتَمِعُ فِيهِ النَّاسُ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِمْ ،
يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ . وَيُرَى حَمَامٌ كَثِيرٌ الْعَدَدِ ، طَائِرًا
نَازِلًا مُسْتَأْنِسًا لَا يَخْشَى مِنْ أَحَدٍ أَدَى ، وَالنَّاسُ يَشْتَرُونَ
الْقَمْحَ وَيَبْدُرُونَهُ ، فَيَتَرَامَى الْحَمَامُ عَلَيْهِ لِيَلْقُطَهُ . وَمَسَاجِدُ
الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ فِي غَايَةِ النِّظَافَةِ وَحُسْنِ التَّرْتِيبِ ، وَصُحُوبُهَا
كَبِيرَةٌ تَسَعُ أَلْبَتَاتِ مِنَ النَّاسِ ، وَالسَّقْفُ قُبَّةٌ عَظِيمَةٌ
حَوْلَهَا عِدَّةُ قِبَابٍ صَغِيرَةٍ . وَفِي كُلِّ مَسْجِدٍ رِوَاقٌ مُرْتَفِعٌ ،
يَحُوطُهُ تَفَارِيجٌ مِنَ الْحَدِيدِ ، أُعِدَّ لِصَلَاةِ السُّلْطَانِ مَتَى شَاءَ ،
وَيُسَمُّونَهُ الْقَفْصَ .

وَفِي أَرْبَاضِ الْمَدِينَةِ ، مَدَائِنُ صَغِيرَةٌ كَثِيرَةٌ مُنْتَشِرَةٌ
عَلَى صَفْتِي الْبُسْفُورِ ، جَمِيلَةٌ الشَّكْلِ لَطِيفَةُ الْهَوَاءِ ، وَاسِعَةٌ
الشَّرَارِعُ فَخْمَةُ الْبِنَاءِ ، يَقْصِدُهَا النَّاسُ فِي الصَّيْفِ لِلنُّزْهِةِ

وَالرَّاحَةِ . وَفِيهَا أُحْرَاشٌ قَائِمَةٌ عَلَى التُّلُولِ الْكَثِيرَةِ ،
يَكْثُرُ فِيهَا شَجَرُ الْبُنْدُقِ وَاللُّوزِ وَالْجُوزِ . وَتَتَدَفَّقُ الْمِيَاهُ
الْعَذْبَةُ مِنْ عُيُونٍ فِيهَا ، يَشْتَرِيهَا النَّاسُ لِلشُّرْبِ ، لِأَنَّ
مَاءَ الْأَنْهَارِ عِنْدَهُمْ لَا يَحْسُنُ شُرْبُهُ . وَفِي أَوَاخِرِ الصَّيْفِ
يَكْثُرُ الْمَطَرُ ، وَفِي الشِّتَاءِ يَشْتَدُّ الْبَرْدُ ، وَيَنْزِلُ الثَّلْجُ
وَالْجَلِيدُ ، فَيَكْثُرُ اسْتِعْمَالُ النَّارِ لِلتَّدْفِئَةِ .

۵۹ - الْفَتَاةُ الشُّجَاعَةُ

حَضَانَةٌ	عَامِلٌ	هَوَى	إِعْلَانٌ	رَغْمٌ
مِكْبَةٌ	يَقْدِفُ	مَغْشَى	هِمَّةٌ	

كَانَتْ فَتَاةٌ مَاتَتْ أُمُّهَا ، وَتَرَكَتْهَا فِي حَضَانَةِ أُمِّهَا ،
وَهُوَ عَامِلٌ فِي سِكَّةِ حَدِيدٍ يُشْرِفُ عَلَيْهَا بَيْتُهُ . فَوَقَفَتْ
يَوْمًا عَلَى الْبَابِ بَعْدَ الْغُرُوبِ ، تَنْتَظِرُ عَوْدَةَ أُمِّهَا ،
وَتَتَسَلَّى بِرُؤْيَا الْقَطْرِ وَهِيَ آتِيَةٌ ذَاهِبَةٌ . فَرَأَتْ ضَوْءَ

قِطَارٍ بِضَاعَةٍ آتِيًا بِسُرْعَةٍ ، ثُمَّ اخْتَفَى وَلَمْ تَدْرِ لِذَلِكَ سَبَبًا ،
لِعِلْمِهَا أَنَّ الطَّرِيقَ مُسْتَقِيمَةً ، وَلَيْسَ هُنَاكَ مَا يَحْجُبُ
الضَّوْءَ عَنِ الْأَبْصَارِ . فَذَهَبَتْ إِلَى مَكَانِهِ لِتَنْظُرَ مَا قَدْ
جَرَى ، فَوَجَدَتْهُ قَدْ هَوَتْ بِهِ قَنْطَرَةً فَوْقَ فِي النَّهْرِ .
وَكَانَتْ الصَّبِيَّةُ تَعْلَمُ أَنَّ قِطَارَ الرُّكَّابِ يَأْتِي بَعْدَهُ بِسَاعَةٍ ،
وَلَيْسَ لِأَحَدٍ عِلْمٌ بِسُقُوطِ الْقَنْطَرَةِ حَتَّى يُوقِفَهُ . فَدَفَعَتْهَا
الْمُرُوءَةُ إِلَى الذَّهَابِ إِلَى الْمَحَطَّةِ ، وَإِعْلَانِ الْخَبَرِ ، رَغْمَ
مَا يُصَادِفُهَا مِنَ الْأَخْطَارِ .

فَجَرَتْ الْفَتَاتُ فِي الظَّلَامِ ، حَتَّى أَدْرَكَتْ قَنْطَرَةً
أُخْرَى ، لَيْسَ لَهَا تَفَارِيجٌ عَلَى جَانِبَيْهَا ، وَكَانَتْ الرِّيحُ
عَاصِفَةً شَدِيدَةً ، فَمَشَتْ مُكِبَّةً عَلَى يَدَيْهَا وَرِجْلَيْهَا ، لِيَلَّا
تَقْذِفَهَا الرِّيحُ إِلَى النَّهْرِ . ثُمَّ اعْتَدَلَتْ عِنْدَ مَا عَبَرَتْهَا ،
وَأَسْرَعَتْ الْجُرَى إِلَى أَنْ بَلَغَتْ الْمَحَطَّةَ ، وَقَدْ نَهَكَهَا الْكَدُّ
وَأُضْنَاهَا التَّعَبُ ، فَصَرَخَتْ قَائِلَةً : « أَوْقِفُوا الْقِطَارَ » ،
ثُمَّ سَقَطَتْ مَغْشِيًا عَلَيْهَا . فَأَكْبَرَ النَّاسُ عَمَلَهَا ، وَحَمَلَهَا

بَعْضُهُمْ إِلَى يَنْتَهَا ، وَأَوْقَفَ غَيْرُهُمُ الْقِطَارَ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ
مَكَانَ الْقَنْطَرَةِ ، فَجَا رُكَّابُهُ بِهَمَّةٍ هَذِهِ الْفَتَاةُ الصَّغِيرَةُ ،
وَأَكْتَتَبُوا بِمَبْلَغٍ مِنَ الْمَالِ ، وَأَهْدَوْهُ لَهَا مُكَافَأَةً عَلَى
مُرُوءَتِهَا وَشَجَاعَتِهَا .

۶۰ - رِجَالُ الْمَطَافِيءِ

أَبْطَالُ	اللَّظَى	عُدَّةُ	أَفْضَاءُ
أَلْوَدُودُ	كَهْلُ	أَلْعَطْبُ	



قَدْ كُنْتُ فِي إِحْدَى اللَّيَالِي مَاشِيًا
وَالْبَدْرُ فِي أَعْلَى الْفَضَاءِ زَاهِيًا
وَكَانَ يَشْكُو لِي رَفِيقِي حَالَهُ
حَتَّى بَلَّغْنَا شَارِعَ الْفَجَّالَةِ
وَلَمْ يَكَدْ يَأْتِي صَدِيقِي مَنَزِلَهُ
حَتَّى سَمِعْنَا صَجَّةً وَزَلْزَلَةً
وَصَوْتَ خَيْلٍ فِي الْفَضَاءِ تَسِيرُ
كَأَنَّهَا الطَّيْرُ إِذَا يَطِيرُ
فَقُلْتُ مَا ذَلِكَ يَا رَفِيقِي
فَقَالَ تِلْكَ عُدَّةُ الْحَرِيقِ
وَلَمْ نَكْذُبْ نَمِيمُ بَعْدُ قَوْلَنَا
حَتَّى رَأَيْنَا الْكُلَّ صَارَ حَوْلَنَا
أَبْصَرْتُ فِيمَا بَيْنَهُمْ رِجَالًا
رِجَالٌ بَاسٍ فِي اللَّظَى أَبْطَالًا

يُخَاطِرُونَ بِالنُّفُوسِ فِي اللَّهَبِ

لِيُنْقِذُوا غَيْرَهُمْ مِنَ الْعَطَبِ

كَمْ أَنْقَذُوا مِنْ عَاجِزٍ وَطِفْلِ

وَأَمْرَأَةٍ مُسِنَّةٍ وَكَهْلٍ

وَكَمْ حَمَوْا مِنْ أَنْفَسِ الْمَتَاعِ

مَا صَارَ لَوْلَاهُمْ إِلَى الضِّيَاعِ

فَهُمْ وَإِنْ كَانُوا مِنَ الْإِنْسَانِ

عَزَمَهُمْ أَمْضَى مِنَ النَّيِّرَانِ

لَهُمْ حَنَانُ الْمُشْفِقِ الْوَدُودِ

كَمَا لَهُمْ جَزَاءُ الْأَسُودِ

(المطالعة المصرية)

معانی الألفاظ الصعبة

ملاحظة — الألفاظ العامية مكتوبة بين قوسين

الصفحة :	اللفظ	المعنى
۲۱	الدُّمَى	جمع دُمِيَّة وهي التماثيل الصغيرة
۲۱	بَرْقَشَ	لوَّنَ بألوان متنوعة
۲۳	مَحَاكَةٌ	مكان الحياكة (معمل النسيج)
۲۷	يَتَقَرَّزُ	يَشْمِئُ (نفسه تم عليه — يَقْرَف)
۳۵	رَمَدَ	هلك من برد أو صقيع
۳۷	الْمَعَاوِلُ	جمع مِعْوَال وهو قضيب غليظ من الحديد ينقض به البناء
۳۷	الْمَسَاحِلُ	جمع مِسْحَل وهو المِبْرَد
۳۷	الْمِنْقَرُ	آلة لنقر الخشب وغيره
۳۷	أَفْدِنُ	أحرق بالفدان وهو المحراث
۳۸	الْمَسَارِبُ	المجاري (المجارير)
۴۲	قَصَبَةٌ	المدينة فيها مركز الحكومة (العاصمة)

المعنى

الصفحة : اللفظ

شيء مذاب في الماء (محلول)	ذَوْبٌ	٥١
جسم كاوٍ أبيض	أَلْصُودًا	٥١
مدهون بالجِصِّ (مبيض)	مُجَصَّصٌ	٦٨
منسوب الى سَرَنَدِيْبَ وهى جزيرة سَيْلَانْ	السَّرَنَدِيْبِيُّ	٨١
هَنَّةٌ فى جوف السمك ممتلئة هواء للسباحة	نُفَّاخَةٌ	٨٧
قشره	فُلُوسُ السمك	٨٧
رمادى	أُطْلَسُ	٩١
ما يصنع منه الحرير تنسجه الدودة حول نفسها (الشرقة)	فَيْلَجٌ	٩٩
خشبة يلف عليها الحرير	مِسْلَكَةٌ	١٠١
كساء مكون من قطعتين (بدلة)	حُلَّةٌ	١٠٦
هَنَّةٌ تخرج من فم الجمل (قلة)	الشَّقْشِقَةُ	١١٢
حمل سفينة أو غيرها (الشحنة)	أَلْوَسَقُ	١١٣

تقریظ الكتاب

لحضرة الأستاذ صاحب الفضيلة الشيخ حمزه فتح الله

تلوت هذا الكتاب أجزاءه الأربعة تأليف ولدنا الجہدین علی عمر بک
وعبد الفتاح صبری بک المتأثرین بالسوداد العادی (القديم) غیر الأقزم
فألفيته علی حدائے طریقته ووضوح مَحَجَّتِهِ أنجع وسیلة لتناول النشء
جنی موضوعه وما کل حدیث یعاب

ولست أعجب لسلسلة عباراته وتوخی مؤلفیه فی أسالیبه مناسبة طلابه
وما يشوق قارئه الی استيعابه فانها شَنِشَةٌ أعرفها من أخزم وإنما الخلیق
بأن يُتَعَجَّبَ منه ما تجشاه فيه من تقرب العامیة من العریة مع صحة
المبنى والمعنی وما أُتِیحَ لها من ألفاظ عریة بدل العامیة وضع الهناء
مواضع النقب و نِعِمَتِ الخدمة للغة الشریفة

ثم التدرج بما یناسب سن الطلبة وسنینهم بحیث لا ینتهون من السنة
الرابعة إلا مُبَرِّزین علی ذوی التجهیزات بما انفرد به هذا الكتاب من
فرائد الفوائد ما ین أخلاق وآداب ومواعظ وعلوم وکونیات علویة وسفلیة
إلی غیر ذلك مما یوافق خبره العیان ولس وراء العیان بیان فما أخرى
مؤلفیه بجمیل الثناء وجزیل الدعاء

الفقیر الیه عز شأنه

حمزه فتح الله

فهرس الكتاب



الصفحة : الموضوع	الصفحة : الموضوع
۲۷ المراكب	۳ جزاء الصدق
۳۰ ساعة الحائط والمزولة	۴ الخفافش
۳۲ الاسفنج	۶ البن والقهوة
۳۴ ولا تصنع المعروف ...	۹ الأدب أساس النجاح
۳۶ أى مهنة تختار	۱۰ العندليب (۱)
۳۸ مصر والاسكندرية (۱)	۱۲ العندليب (۲)
۴۱ مصر والاسكندرية (۲)	۱۳ الحمامة والنحلة
۴۳ الأسد والثعلب	۱۵ النحلة والزنبار
۴۵ الشای	۱۶ البومة
۴۷ المدعى	۱۸ مزية التصوير
۴۹ البيغاء	۱۹ أهل الصين
۵۱ الصابون (۱)	۲۱ الأمانة كنز
۵۲ الصابون (۲)	۲۳ النمر
۵۴ الأرانب	۲۵ هدية الفيران

الصفحة : الموضوع	الصفحة : الموضوع
۸۸ الخادم والسمة	۵۶ حيلة العنكبوت
۹۰ مشية الغراب	۵۸ الماء
۹۱ الذئب	۵۹ الغراب والجرة
۹۴ محمد على باشا	۶۱ الذهب
۹۶ الشجاعة والجن	۶۴ الفلاح واللفت
۹۸ دودة القز	۶۶ الأهرام
۱۰۰ الحرير	۶۸ جماعة الفيران
۱۰۲ الصياد والأسد	۷۰ الطاووس
۱۰۴ اللؤلؤ	۷۲ قصب السكر (۱)
۱۰۷ جزاء الوالدين	۷۴ قصب السكر (۲)
۱۰۹ الجمل (۱)	۷۶ عن المرء لا تسأل . . .
۱۱۰ الجمل (۲)	۷۸ الفيل
۱۱۳ الاستانة (۱)	۸۰ العاج
۱۱۶ الاستانة (۲)	۸۲ القطان
۱۱۸ الفتاة الشجاعة	۸۳ القناطر الخيرية
۱۲۰ رجال المطافئ	۸۶ السمك

